وزارة التعليم العالي و البحث العلمي
جامعة الدكتور يحي فارس بالمدية
كلية العلوم الانسانية والاجتماعية
قسم العلوم الانسانية

دور الجالية الاندلسية بالمغرب الأوسط (7 - 9 هـ/ 13 - 15 م)

مذكرة مقدمة للحصول على شهادة الماستر
تخصص : دراسات تاريخ و حضارة العصر الوسيط

اعداد الطالب:
إبراهيم قريش

إشراف الأستاذ:
عبد الصمد حمزة

السنة الجامعية
1437/ 1438 هـ / 2016 / 2017

الإهـــــــــــــداء:

إلى أجمل حواء وآدم في الوجود

إلى قرة عيني أمي الغالية التي بحسن رعايتها وصلت كما أنا عليه

إلى أبي الذي وهبني أول قلم ملكته في طفولتي ووضعني على طريق التعلم

اللهم أحفظهما لي كما رباني صغيرا

إلى إخوتي ياسين ورفيق وياسمين وفائز

إلى جدتي الحنون الحاجة نونة

إلى رفقاء الدرب :

أحمد – سفيان – خليفة – فارس – مراد

إلى طلبة التاريخ دفعة 2017 تخصص تاريخ وسيط

الشكر:

أحمد الله عز وجل الذي يسر لي السبيل لإنجاز هذا البحث

وألهمني الصبر في التخلص من العقبات

أتقدم بجزيل الشكر والعرفان إلى الأستاذ المشرف السيد:

"حمزة عبد الصمد" الذي أعتز بإشرافه على بحثي وأعترف

له بالجميل في وقوفه إلى جانبي منذ اختيار الموضوع إلى

غاية اتمامه في شكله النهائي. والشكر موصول إلى كل

أساتذتي الذين درست على أيديهم منذ المرحلة الابتدائية

إلى المرحلة الجامعية

وإلى كل من ساعدني من قريب أو بعيد في اتمام هذا

العمل

قائمة المختصرات:

الرمز	العبارة
ت	توفي
تح	تحقيق
تر	ترجمة
ج	جزء
دب	دون بلد
دط	دون طباعة
د ت ط	دون تاريخ طباعة
د م ن	دون مكان النشر
ش و ن ت	الشركة الوطنية للنشر والتوزيع
ص	الصفحة
ط	الطبعة
ع	العدد
م	ميلادي
مج	مجلد
موفم	المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية
ه	هجري

مقدمة:

شهدت الأندلس منذ القرن السابع للهجرة سقوطا متواليا للمدن الإسلامية في الأندلس وهو ما حتم على المسلمين الأندلسيين الاختيار بين الهجرة أو التهجير أو التنصير أو التقتيل، ومع اشتداد وطأة الهجمات النصرانية على الأراضي الأندلسية اضطر الأهالي إلى ترك الوطن الذي تقاسمته ممالك النصرانية.

وفي هذا الوقت العصيب الذي كانت تمر به بلاد الأندلس، كانت الأوضاع في بلاد المغرب الأوسط سيئة بعد انفراط عقد الدولة الموحدية والتي تمخضت عن قيام دويلات مستقلة هم الحفصية في إفريقية وشرق المغرب الأوسط، والزيانية في أغلب المغرب الأوسط، والمرينية في المغرب الأقصى.

قد تنافس حكام هذه الدويلات، الدولة الحفصية بزعامة أبي زكرياء بن عبد الواحد الحفصي والزيانية في المغرب الأوسط بزعامة يغمراسن بن زيان والمارنية في المغرب الأقصى بزعامة أبو يوسف المنصور على استقطاب الوافدين والمهاجرين الأندلسيين، لاسيما الكفاءات من العلماء والساسة والأدباء، وذلك لبعث الحضارة في مفاصل دولهم الفتية، من خلال إسناد مناصب حساسة إليهم وكان لذلك آثار بالغة على تطور المغرب الأوسط، وازدهار الحياة الفكرية والثقافية والاقتصادية ومختلف المجالات الأخرى، انطلاقا من هذا حاولنا في بحثنا هذا الإجابة على الإشكالية الرئيسية والمتمثلة في:

معرفة الإسهامات الحضارية الأندلسية الوافدة إلى بلاد المغرب الأوسط

وهذا ما يقودنا بطبيعة الحال إلى البحث عن الإجابة. لمجموعة من التساؤلات من بينها:

- ما هو واقع الحالة السياسية لبلاد الأندلس والمغرب الأوسط خلال القرن (7-9 هـ/ 13-15م)؟
- الوقوف على أهم مظاهر التقهقر الإسلامي بين العدوتين الأندلسية والمغربية. من خلال قيام دويلات مستقلة متصارعة في العدوة المغربية وتساقط الحواضر المهمة في بلاد الأندلس.
- ما هي دوافع الهجرة الأندلسية إلى بلاد المغرب الإسلامي والمغرب الأوسط بصفة خاصة والعوامل التي ساعدت على استقطاب المهاجرين الأندلسيين إلى مدن المغرب الأوسط؟

- ما هي المراحل التي مرت بها الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأوسط؟
- هل كان للجالية الأندلسية بالمغرب الأوسط دور حضاري واضح على مدن المغرب الأوسط التي نزلوا بها واستوطنوها؟

أما عن الأسباب التي دفعتني لاختيار هذا الموضوع. فهي أسباب علمية بالدرجة الأولى.

1- خصت هذه الدراسة بلاد الأندلس وهجراتهم إلى بلاد المغرب الإسلامي والمغرب الأوسط بالشكل الخاص في الفترة الممتدة بين القرن (7-9 هـــ/ 13-15م) وهي فترة مهمة جدا لما كان فيها من أحداث وتطورات على منطقة الأندلس وبلاد المغرب الإسلامي

2- إلقاء الضوء على هذه الفترة التي شهدت العديد من الأحداث السياسية الخطرة التي أدت إلى تفرق الأندلسيين في بلاد المغرب الإسلامي ومدن المغرب الأوسط بشكل خاص.

3- محاولة التعرف على الآثار الأندلسية في مدن المغرب الأوسط خاصة حاضرة تلمسان.

ومن الدراسات السابقة التي فتحت أمامي المجال للتّمحيص والبحث هي: دراسة "كلثوم ميدان" حول الهجرة الأندلسية للمغرب الأوسط حتى القرن (10 هـــ/ 16م)، مذكرة ماجستير، جامعة الجزائر، 1986م. وكذلك دراسات "رفيق خليفي" التي تخص ظاهرة البيوتات الأندلسية في المغرب الأوسط من نهاية القرن الثالث هجري إلى نهاية القرن التاسع هجري. مذكرة ماجستير جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 2008م التي تحدثت عن البيوتات العلمية الأندلسية، وإسهاماتها في المغرب الأوسط طبعا في المجال الثقافي.

أما الدراسات الأخرى فهي التي قام بها "مسعود بريكة" حول النخبة والسلطة في بجاية الحفصية، مذكرة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، 2009م، والذي تحدث فيها عن النخبة العلمية الأندلسية وعلاقاتها بالسلطة في حضارة بجاية الحفصية، وكذلك دراسة "نصر الدين بن داود" حول علماء أسرة المرازقة ودورها الثقافي بتلمسان من القرن (7هــ-13م/ 10هــ-16م)، مذكرة ماجستير جامعة وهران، 2004م، بالإضافة إلى دراسة "محمد بوشريط" حول ظاهرة البيوتات الأندلسية ودورها

الثقافي، مذكرة ماجستير، جامعة وهران، 2012م، والتي تحدثت كذلك عن الجانب الثقافي والعلمي للأسس العلمية الأندلسية.

وكذلك دراسة "محمد سعداني" حول الأندلسيين وتأثيراتهم الحضارية في المغرب الأوسط من القرن السابع إلى القرن التاسع هجريين، من القرن الثالث عشر إلى القرن الخامس عشر ميلاديين، جامعة وهران، 2016، والذي تحدث عن التأثيرات الأندلسية وإسهاماتهم في مختلف المجالات خاصة في الحاضرتين تلمسان الزيانية وبجاية الحفصية.

إضافة إلى دراسة "عمارة سيدي محمد" عبر هجرة الأندلسيين إلى بلاد المغرب الأوسط خلال القرن (7 هـــ/ 13م) ودورهم الثقافي، جامعة وهران، 2013م، وهي الدراسة التي ركزت بشكل كبير على الجانب الثقافي فقط.

وللإجابة على هذه التساؤلات اتبعت المنهج التاريخي التحليلي والوصفي، فالتاريخي في سرد الوقائع التاريخية في ذلك الوقت والأوضاع المتحكمة في الهجرة الأندلسية وواقع ودوافع هذه الهجرة الأندلسية، وكذلك الأحداث الزمنية المتلاحقة لسير عملية الهجرة إلى المغرب الأوسط، أما التحليلي فهو لفهم ظروف هذه الهجرة واستقصاء أسبابها وآثارها على المغرب الأوسط بشكل عام وكذا لفهم تفاعلات الوافد الأندلسي مع السلطة الزيانية والمجتمع، أما الوصف فوضعناه لوصف بعض المدن الأندلسية والحواضر الهامة في المغرب الأوسط خاصة تلمسان وبجاية متتبعا الخطة التالية المقسمة إلى:

المدخل: هو عبارة عن تمهيد للموضوع والذي عنونته بالمجال الجغرافي والسياق السياسي لبلاد المغرب الأوسط والأندلس قبل القرن الثالث عشر ميلادي (13م)، وتناولت فيه تحديد المجال الجغرافي للمغرب الأوسط والأندلس، وتعرضت إلى الوضع السياسي الذي أحاط بهاتين المنطقتين، وذلك حتى يتسنى لنا كطلبة وباحثين فهم الإطار الجغرافي والظروف التاريخية المحيطة بالحضور الأندلسي في بلاد المغرب الأوسط.

الفصل الأول: هو الموسوم بالهجرة الأندلسية إلى المغرب الأوسط واقع ودوافع، وتمحور حول السياق التاريخي السياسي العام لبلاد المغرب الأوسط والأندلس خلال القرن الثالث عشر ميلادي، كما تطرقت إلى دوافع الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأوسط والتحفيزات التي دفعتهم إلى التوجه إليه، كما تناولت في هذا الفصل مراحل الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأوسط.

الفصل الثاني: وهو الذي وسمته بمواطن استقرار الجالية الأندلسية بالمغرب الأوسط، تناولت فيه بداية أهم مدينتين إستقرت فيهما الجالية الأندلسية وعنونتهم كالأتي: تلمسان مقصد الرحيل و الوطن البديل،ثم إنتقلت إلى بجاية محل البيوتات الأندلسية العريقة،اما المطلب الثالث،فتناولت فيه مدن أخرى لا تقل أهمية عن المدن السابقة .

الفصل الثالث: وسمته بالعنوان التالي"الإسهامات الحضارية للأندلسيين بالمغرب الأوسط" وهو موضوع الدراسة في بحثنا هذا، وذلك لما حمله الأندلسيون من إبداع في مختلف المجالات. والدور الهام الذي لعبته هذه الجالية في المغرب الأوسط، وقد عرجت فيه عن إسهامات الجالية الأندلسية،في المجال السياسي والإداري، فالإقتصادي والعمراني، وختاما بالجانب الإجتماعي والثقافي، وتجدر الإشارة هنا إلى أن معظم الدراسات السابقة تناولت في المجمل تأثيرات الأندلسيين في الجانب الثقافي والعلمي مثل ظاهرة البيوتات الأندلسية، فكان بحثنا هذا تكملة بسيطة و إضافة نأمل أن تكون نوعية وليست رقمية للدراسات السابقة. لتنتهي هذه الفصول بخاتمة استخلصت فيها أهم نتائج هذا البحث.

- ومن الصعوبات التي واجهتني أثناء إنجازي لهذا البحث:

كان أهمها و أبرزها قلة المادة التاريخية التي تحدثت عن دور الجالية الأندلسية بالمغرب الأوسط (الفترة الوسيطة) بحيث لم أجد إلا الندر اليسير من المعلومات في بعض المصادر التي لم تكن كافية فعلا.إضافة إلى بعض المقالات المنشورة هنا وهناك في مجالات مختلفة.وأخرى لم نستطع الإطلاع عليها خاصة. ما تعلق بالحديث عن المدن التي استقر فيها الأندلسيون في المغرب الأوسط وكذلك ما تعلق بالدور الأندلسي في الحياة الاقتصادية والاجتماعية رغم وجود دراسات سابقة كثيرة إلا أنها لا تتطرق

إلى كل الجوانب وكان أغلبها قد تحدث عن التأثير الثقافي والسياسي بقدر كبير ربما لأنها أهم البصمات التي تركها الأندلسيون فيها، وهذا كله تسبب في وجود فجوات كبيرة في بيان التأثير الأندلسي الحضاري في المغرب الأوسط، خاصة المدن التي وصلها المهاجرون الأندلسيون واستوطنوها، وقد حاولت ترميم هذه الفراغات بالقدر المستطاع بالاستناد إلى تمحيص الروايات والاستفادة من الإشارات الواردة فيها، واستندت في انجاز هذه الدراسة إلى النصوص التاريخية. انطلاقا من مصادرها الأصلية محاولا تحليل الأحداث وجمع الروايات. وخلاصات الدور الحضاري الذي قام به المهاجرون الأندلسيون بالمغرب الأوسط في العهد الزياني.

نقد المصادر والمراجع:

اعتمدت في هذه الدراسة على مصادر تارخية عديدة ولكن هناك مصادر أساسية كان لها الفضل الكبير في بناء هذا البحث وإثرائه، ويمكن حصرها فيما يلي:

أول هذه المصادر المهمة هي "بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد" لأبي زكريا يحى بن خلدون (ت 780هـــ / 1378م) في جزئين ، الجزء الأول قام بتحقيقه "عبد الحميد حاجيات" والثاني "بوزياني دراجي"، فهذا المصدر أمدني بمعلومات هامة عن الدور السياسي والثقافي للمهاجرين الأندلسيين في المغرب الأوسط.

أما المصدر الثاني المهم أيضا هو: "كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر" "لعبد الرحمان بن خلدون" المتوفي سنة (808ه / 1405م)، ، وأيضا استندت إلى مقدمة ابن خلدون ، ويعتبر كتاب العبر مهما بالنسبة لهذه الدراسة لأن عبد الرحمان ابن خلدون كان معاصرا للدولة الزيانية، وقد تضمن تاريخه ارشادات مهمة عن الهجرات الأندلسية لبلاد المغرب ومعلومات تاريخية نادرة عن الجالية الأندلسية التي وفدت على المغرب الأوسط.

ومن المصادر التي تضمنت معلومات تاريخية عن الأندلسيين وحضورهم السياسي والثقافي ببلاد المغرب عموما وبلاد المغرب الأوسط خصوصا كتاب "نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر

وزيرها لسان الدين الخطيب" "لشهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني" المتوفي حوالي سنة (1041هـــ)، تحقيق "احسان عباس"، وهو من أهم المصادر التي تؤرخ للأندلسيين وهجرتهم إلى مدن العالم الإسلامي مشرقا ومغربا ولتراثهم الثقافي والحضاري سواء في العدوة الأندلسية أو العدوة المغربية، ورجعت أيضا إلى الكتب المهمة "للسان الدين بن الخطيب" المتوفي سنة (776هـــ / 1374م) ولعل أهم كتاب: "الإحاطة في أخبار غرناطة" وكتاب: "تاريخ الأندلس اسبانية الإسلامية" وكذلك كتاب: "أعمال الأعلام في من بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام".

واستندت إلى بعض مصادر التراجم منها كتاب: "البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان" "لأبي عبد الله بن محمد بن أحمد" الملقب بـــ "ابن مريم" الشريف المديوني التلمساني.

واستعنت أيضا بمصادر الجغرافيا والرحلات من أهمها: كتاب " المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب" "لأبي عبيد البكري" المتوفي سنة (487 هـــ)، وهو جزء من كتابه: "المسالك والممالك" ثم كتاب: "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" "للإدريسي" المتوفي سنة (560 هـــ) ومن الرحلات اعتمدت على رحلة القلصادي"لأبي الحسن علي القلصادي الأندلسي" (ت 891 هـــ) وكتاب: "وصف إفريقيا" "لحسن بن محمد الوزان الفاسي" المعروف بليون الافريقي، توفي بعد عام (957 هـــ)

وقد استفدت كذلك بعدد من الدراسات التاريخية المختلفة التي تناولت موضوع المهاجرين الأندلسيين إلى المغرب الأوسط خلال القرن الثالث عشر ميلادي، وأخص بالذكر "عبد العزيز فيلالي" وكتابه الموسوم " تلمسان في العهد الزياني" وكذلك اعتمدت عليه كثيرا وأيضا مراجع أخرى مهمة وهو كتاب "لمحمد رزوق" من خلال كتابين "الأندلسيون وهجرتهم إلى المغرب خلال القرن (16-17م)" و "دراسات في تاريخ المغرب"، كما اهتديت لبعض المقالات التي كتبت حول الهجرة الأندلسية ودورها الحضاري بالمغرب الأوسط وأذكر بالخصوص مقالة لخليل إبراهيم الكبيسي في مجلة المجتمع العلمي العراقي بعنوان: "هجرة الأندلسيين وتهجيرهم إلى مدن المغرب العربي".

وختاما فإني حاولت الاعتماد قدر المستطاع على الدراسات التاريخية التي تناولت موضوع البحث وهي مجهودات يسرت لي فهم الإشكالية المرتبطة بالدور الحضاري للجالية الأندلسية بالمغرب الأوسط في الفترة الوسيطة، وفي الأخير الكمال لله وحده وما أوتيت من العلم إلا قليلا.

والله ولي التوفيق.

المدخل

تناولت العديد من الدراسات التاريخية موضوع العلاقة بين العدوة المغربية والعدوة الأندلسية، هذه العلاقة التي بدأت منذ الفتح الإسلامي لبلاد الأندلس، وتوطدت أكثر في دولة عبد الرحمان الداخل الأموية بالأندلس وما يقابلها في الضفة الأخرى بالمغرب الأوسط وهي الدولة الرستمية ، ولكن بمجيء الدولة الموحدية التي وحدت العالم الإسلامي في جهة المغرب وجعلت كلا لا يتجزأ، ومسحت حدوده، هنا توطدت العلاقة أكثر بين المجتمع الأندلسي والمجتمع المغاربي، ومنه حاضرة تلمسان في المغرب الأوسط، عبر المصاهرة والزواج وطلب العلم، ومجالسة الشيوخ والعلماء.

هذا ما يدفعنا لدراسة بلاد المغرب الأوسط والأندلس من خلال التطرق إلى المجال الجغرافي والسياق السياسي. طبعا قبل القرن الثالث عشر ميلادي وهذا يساعدنا على معرفة التطورات اللاحقة في العلاقة بين المجتمعين.

1- المجال الجغرافي للمغرب الأوسط:

عندما بدأ المسلمون فتوحاتهم لشمال إفريقيا، أطلقوا على مايلي طرابلس غربا اسم افريقية [1] ، ثم بعد ذلك صارت تطلق فقط على إقليم المغرب الأدنى الذي تتوسطه القيروان ثم تونس [2].

وهو عند الاصطخري: " نصفان ... نصف من شرقيه، ونصف من غربيه فأما الشرقي فهو برقة و إفريقية وتاهرت وطنجة والسوس وزويلة ... وأما الغربي فهو الأندلس" [3]، في حين أطلق المقدسي المغرب على كل مايلي: الأقاليم مثل برقة وإفريقية، وتاهرت وسجلماسة والأندلس، ويضيف إليهم صقلية [4]، وأما ابن حوقل فإنه يضع" نهر النيل " حدا طبيعيا فاصلا بين المشرق والمغرب [1]، ويذكر

[1] – أبو عبيد البكري، المغرب في ذكر بلاد إفريقية والمغرب، وهو جزء من المسالك والممالك، د ط، دار الكتاب الإسلامي القاهرة.د ت ط، ص 21.

[2] – عبد الرحمان بن خلدون الحضرمي الاشبيلي، كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، مراجعة سهيل زكار، ج 6، ط2، دار الفكر بيروت، 1988م، ص 135.

[3] – أبو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسي الاصطخري الكرخي ، المسالك والممالك، د ط، دار صادر بيروت، 2004م، ص36.

[4] – أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي البشاري، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، ط3، دار صادر بيروت، 1991م، ص 216.

المراكشي في كتابه " المعجب " أن أول حد بلاد إفريقية والمغرب مدينة " أنطابلس" المذكورة، المدعوة "البرقة" ... " فأول بلاد المغرب مما على ساحل البحر الرومي مدينة انطابلس المعرفة ببرقة وآخرها مما على ساحل البحر الأعظم مدينة طنجة[2]، وقد ظهر مصطلح المغرب في زمن الفتنة الكبرى، التي قامت بين علي بن أبي طالب ومعاوية بن سفيان، ولم يكن يقصد ما هو عليه الآن، وإنما قصد غرب العالم الإسلامي في تلك الفترة والذي كان يشمل مصر والشام [3]، وبعد توسع رقعة الدولة الإسلامية نتيجة الفتوح أطلق اسم المغرب على الأقاليم الواقعة غرب مصر [4]، وهو ما يضم حاليا أقطار المغرب العربي، كما كانت تضاف إليه، لكونها القاعدة السياسية والعسكرية والثقافية لهذه المنطقة [5] وبلاد المغرب في معظمها عبارة عن هضبة كبيرة تخترقها سلسلتان جبليتان تختلف أسمائها من منطقة إلى أخرى، وبلد الجبال جنوبا بنطاق صحراوي شاسع [6].

وقسمت بلاد المغرب الإسلامي جغرافيا إلى ثلاثة أقاليم كبرى وهي المغرب الأدنى والمغرب الأوسط والمغرب الأقصى، وكل إقليم له طابعه الخاص به، وعليه فإن الإقليم الذي نحن بصدد دراسته في بحثنا هذا هو إقليم بلاد المغرب الأوسط، لأن فهم التحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وحتى الثقافية مرتبط بدون شك بالمجال الجغرافي الذي تقع فيه هذه التغيرات.

ففي القرن الرابع هجري اعتبر المهتمون بالجغرافيا والرحلة من المسلمين أن المغرب ما يقابل المشرق من بلاد [7] ويتوسط المغرب الأقصى المغربين الأدنى والأقصى، وهو في الأغلب ديار زناتة كما

---

[1] – أبو القاسم بن حوقل النصيبي، صورة الأرض، د ط، ج1، منشورات دار مكتبة الحيان، بيروت، 1992م، ص64.

[2] – عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي محي الدين، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، من فتح الأندلس إلى عصر الموحدين، تح : صلاح الدين الهواري، ط1، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، 2006، ص ص 250-254.

[3] – موسى لقبال، المغرب الإسلامي من بناء معسكر القرن، حتى انتهاء ثورات الخوارج، ط2، ش،و،ن،ت، الجزائر، 1981م، ص 14.

[4] – إسحاق اليعقوبي، البلدان، تح: محمد أمين صنتاوي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2002م، ص 180.

[5] – لخضر عبدلي، الحياة الثقافية في المغرب الأوسط في عهد بني زيان، (633-962هـ/1236-1554م)، رسالة دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي، جامعة تلمسان قسم التاريخ، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، 2004-2005م، ص 18.

[6] – رضا حكيلة، المغرب في تاريخ الأندلس والمغرب، دط، جامعة القاهرة، 1997م،ص 16.

[7] – محمد محمد زيتون، المسلمون في المغرب والأندلس، دط، المكتبة الاسكندرية، 1990م، ص 05.

يقول ابن خلدون وقاعدة تلمسان [1]، وقد فتحت أجزاء منه في عهد أبي المهاجر دينار (55هـ/674م) الذي قاد حملة كبرى سنة (59هـ/678م) ووصل إلى تلمسان، ابن حفر عيون سميت(عيون أبي المهاجر) [2]، واستكمل الفتح بمجيء عقبة بن نافع للمدة الثانية ثم زهير بن قيس البلوي فحسان بن النعمان ثم موسى بن نصير [3]، هذا الأخير انتهى في عهد الفتح الإسلامي لبلاد المغرب [4] ليبدأ عهد جديد هو عهد الولاة.

تتسم الحدود الشرقية للمغرب الأوسط بعدم الضبط والثبات، فهي حدود مطاطية لم تتحد بحاجز طبيعي كما هو الشأن بالنسبة لنهر ملوية[5]، فابن خلدون على سبيل المثال تارة يجعل بجاية هي نهاية الحدود الشرقية للمغرب الأوسط، وفي هذا الصدد يقول: "ويجاوره المغرب الأوسط من جهة المشرق بلاد صنهاجة من الجزائر ومتيجة... وما يليها إلى بجاية" [6]، ثم يذكر أن المغرب الأوسط طبقا لهذا التحديد الجغرافي هو في أغلب زناتة، كان لمغراوة وبني يفرن، وكان معهم مديونة ومغيلة وكومية ومطماطة، ثم صار من بعدهم لبني وماتو وبني يلومي ثم صار لبني عبد الواد والتوجين لبني مدين، وقاعدته لهذا العهد تلمسان [7] وتارة أخرى يعتبر أن بجاية وبونة وقسنطينة تقع ضمن إقليم المغرب الأوسط [8].

---

[1] – عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، دط، دار الجبل، بيروت، د.ت.ط، ص ص 65-66.

[2] – ابن عبد الحكيم عبد الرحمن بن عبد الله أبو القاسم المصري، فتوح مصر والمغرب، تح: عبد المنعم عامر، دط، ج1، شركة الأمل للنشر والتوزيع، القاهرة، 1961م، ص 197.

[3] – محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني، المؤنس في أخبار افريقيا وتونس، ط2، دار الميسرة، لبنان، 1993م، ص ص 37-54.

[4] – ابن الأثير علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الجذري، الكامل في التاريخ، ط4، ج4، دار الكتاب العربي، بيروت، 1983م، ص ص 112-113.

[5] – محمد بن معمر، العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين المغربين الأوسط والأقصى من نهاية القرن الثاني إلى أواسط السادس هجريين، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه دولة في التاريخ، قسم التاريخ، جامعة وهران، 2001-2002، ص 12.

[6] – ابن خلدون، العبر، ج6، ص ص 134.

[7] – نفسه، ج6، ص 134.

[8] – عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص ص 98-99.

وجعل الحميدي من واد مجمع نهاية للحدود الشرقية للمغرب الأوسط، فذكر أن: "حد المغرب الأوسط من وادي يسمى مجمع وهو في نصف الطريق من مدينة مليانة إلى أول بلاد تازة من بلاد المغرب"[1] وعليه فإن حدود المغرب الأوسط في نظر هذا الفريق من الجغرافيين والمؤرخين ينتهي إلى مدينة بجاية التابعة لإقليم المغرب الأدنى أو ما كان يصطلح على تسميته بإفريقية.

وفضلا عن ذلك، فإن الإدريسي في القرن السادس هجري يضم مدينة بجاية والمدن لها من الجهة الشرقية والغربية إلى إقليم المغرب الأوسط، فذكر أن من بلاد المغرب الأوسط تنس وبرشك وجزائر بني مزغنة وتدلس وبجاية وجيجل والقلعة والمسيلة والغدير و مقرة ونقاؤس وطبنة وقسنطينة وتيجس وبغاية وتيفاش ودار مدين وبلزمة ودار ملول وميلة [2] ، وفي موضع آخر أشار إلى أن مدينة بجاية في عصره كانت عاصمة المغرب الأوسط [3]، وفي موضع آخر أورد المراكشي خلا القرن السابع هجري أن الحدود الشرقية للمغرب الأوسط تنتهي عند مدينة قسنطينة ويوضح ذلك بقوله: "قسنطينة آخر بلاد إفريقية ما يلي البحر منها، وما يلي الصحراء منها، وما بعد قسنطينة، فهو من المغرب غير إفريقية، فأول ذلك بليدة صغيرة قبلي بجاية في البر تسمى ميلة، بينها وبين بجاية ثلاث مراحل ومن بجاية إلى قلعة بني حماد أربعة مراحل، وهي أيضا أعني القلعة قبلي بجاية" [4].

وعليه فإن المغرب الأوسط لا يمكن ضبطه جغرافيا من الناحية الشرقية وذلك لاختلاف الجغرافيين والمؤرخين في ضبط الحدود شرقا، وكذلك باعتبار التحولات السياسية في القرن الثالث عشر ميلادي كانت سريعة التغير خاصة في المغرب الأوسط الذي كان محل أطماع وصراع نفوذ بين الحفصيين بالمغرب الأدنى، والمرينيين بالمغرب الأقصى.

---

[1] – أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري، الروض المعطار في خبر الأقطار، تح: إحسان عباس، ط2، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، مطابع دار السراج، 1980م، ص 135.

[2] – الإدريسي، المغرب العربي من خلال نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، تح: محمد حاج صادق، دط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م، ص 72.

[3] – نفسه، ص 116.

[4] – عبد الواحد المراكشي المعجب، المصدر السابق، ص 256.

ونتج عن هذا، أن حدود هذا الإقليم السياسية تتمدد في فترة من الفترات حتى تضم بجاية وقسنطينة، بل وحتى تونس، وفي فترات أخرى تنقبض وتتقلص وتضيق إلى حدود مدينة تلمسان.

ومن هنا يمكن القول أن حدود المغرب الأوسط الجغرافية شرقا وغربا صار حلقة وصل بين أجزاء المغرب الإسلامي وما خلفه من بلاد، فهو يصل ولاية إفريقية تونس وما ورائها بالمغرب الأقصى وما جاوره من بلدان، وهذا يؤشر على أن المغرب الأوسط هو بمثابة جسر ومعبر لكل ما هو سياسي أو اقتصادي أو اجتماعي أو ثقافي [1].

وهذا يبرز الأهمية الحيوية لموقع المغرب الأوسط، وكان ميدان صراع وتنافس بين القوى السياسية الطامحة للسلطة، فحاول الفاطميون السيطرة عليه، ثم حكمه المرابطون ثم صار جزء من دولة الموحدين التي وحدت بلاد المغرب الإسلامي لعقود.

2- الأوضاع السياسية للمغرب الأوسط:

عرف المغرب الاسلامي قيام عدة ثورات بربرية، أهمها ثورة ميسرة وخالد بن حميد الزناتي سنة (122هـ/739م)، وثورة ورفجومة بأرض الزاب[2] سنة (138هـ/ 755م) [3] وغيرها.

ولم يكن المغرب الأوسط بمنأى عن هذه الأحداث إذ عرف هو الآخر ثورات مناهضة لسياسة الولاة لعل أهمها ثورة أبي قرة بن دوناس المغيلي اليفريني سنة (148ه/765م)، الذي كان رئيسا لمغيلة، وبني يفرن نواحي تلمسان [4]، وثورات أخرى كان من بين نتائجها قام الدولة الرستمية سنة

[1] – خالد بلعربي، الدولة الزيانية في عهد يغمراسن، دراسة تاريخية وحضارية (633هـ–681ه/ 1235م–1282م)، ط1، دار الألمعية للنشر والتوزيع، قسنطينة، 2011م، ص 34.

[2] – يطلق إقليم الزاب على بسكرة وأعمالها: يبتدأ غربا من تخوم المسيلة، ويمتد شرقا إلى إقليم الجريد بتونس، وهو منطقة رملية شديدة الحرارة أنظر حسن الوزان، وصف إفريقيا،تر:عبد الرحمان حميدة،مراجعة:علي عبد الواحد،دط،المملكة العربية السعودية،د ت ط، ص138.

[3] – عبد لعزيز سالم، المغرب الكبير، دط، ج2، دار النهضة العربية، بيروت، 1981م، ص 333.

[4] – ابن خلدون، العبر، مصدر سابق، ج7، ص ص 14–15.

(144هـــ/761م) بزعامة عبد الرحمن بن رستم الإباضي الذي اتخذ تيهرت[1] عاصمة له[2]، وكذلك قيام دولة الأدارسة بالمغرب الأقصى والتي زحف مؤسسها إدريس الأول إلى تلمسان سنة (174هـــ/790م) بعدما خلص له المغرب الأقصى وقد تلقاه أمير زناتة وتلمسان محمد بن حزر بن صولات المغراوي، ودخل في طاعته، فملك إدريس تلمسان واختط مسجدها ووضع منبره، ثن رجع إلى المغرب الأقصى وترك محمد ابن خرز المغرواي أميرا على تلمسان وبعد مقتل إدريس سنة (175هـــ/791م) قدم أخوه سليمان بن عبد الله إلى المغرب، ودخل تاهرت حيث طلب الأمر الحكم هناك، لكن البربر لم يصدقوه، أنه أخو إدريس فساد إلى تلمسان التي بايعه أهلها [3].

وفي سنة (199ه/814م) نهض إدريس الثاني أو الأصغر الذي خلف والده إدريس الأكبر إلى تلمسان بعد أن استدعاه ابن عمه محمد بن سليمان ليستعين به على أعدائه. [4]

وبعد وفاة إدريس الثاني، اقتسم بنوه أعمال المغرب بإشارة من أمه كنزة [5] الأمر الذي أضعف كثيرا دولة الأدارسة وجعلها تسقط بأيدي الفاطميين [6]، الذين تمكنوا من الاستلاء على بلاد المغرب الإسلامي والقضاء عل الدويلات المستقلة به [7]، وقد ولوا أمر المغرب الأقصى لموسى بن أبي العافية الذي الذي نهض إلى تلمسان سنة (319ه/931م) وأخرج بني سليمان منها [8].

---

[1] – تيهرت: مدينة بالمغرب الأوسط، تقع في سفح جبل يقال له جبل جزول، وبالقرب منها نهر مينة، نزلها عبد الرحمن بن رستم الإباضي سنة (144هـــ/761م) وبايعه أهلها، أنظر: عبد الله البكري، المغرب، مصدر سابق، ص ص 66-69.

[2] – محمد بن عميرة، دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، دط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص ص 118-119.

[3] – ابن خلدون، العبر، ج7، ص 90.

[4] – لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص 24.

[5] – ابن خلدون، العبر، ج7، ص 90.

[6] – النويري شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، نهاية لإرب في فنون لأدب، دط، ج2، تح: محمد محمد أمين حلمي، محمد أمين، مركز تحقيق التراث، القاهرة، 1992م، ص 63

[7] – ابن خلدون، العبر، ج4، ص 37-45.

[8] – المصدر نفسه، ج7، ص 91.

وقد تخوف الأمويون في الأندلس من امتداد نفوذ الفاطميين إليهم ، إذ أصبح لايفصل بينهم إلا مضيق جبل طارق، مما جعل عبد الرحمن الناصر (300-350هـ/912-961م) يعمل على اصطناع رؤساء القبائل ببلاد المغرب [1]، وكذلك الأمر بالنسبة لولده الحكم المنتصر، والذي جعله محمد بن الخير بن محمد بن خزر [2]، الذي تولى أمر تلمسان سنة (360هـ/970م)، وكانت له حروب مع بني زيري قتل في إحداها فأصبح بذلك تلمسان خاضة لحكم صنهاجة [3] ثم لم يلبث أن استقل زيد بن عطية ببلاد زناتة، إلا أن طرده المنصور بن أبي عامر، وعقد للمعز بن زيري على أعمال المغرب سنة (396هـ/1005م) والذي استعمل على تلمسان ابنه يعلى، وبقي الأمر على هذه الحالة إلى أن ذهب أمرهم على يد المرابطين [4] الذين دخلوا المغرب الأوسط بقيادة يوسف بن تاشفين سنة (463هـ/1070م) فأخضعوا تلمسان، تنس [5] وهران، جزائر بني مزغنة ووصلوا إلى حدود بني زيري سنة (475هـ/1082م) [6]

وبقي المغرب الأوسط خاضعا لهم إلى أن أخضعه الموحدون لنفوذهم سنة (547هـ/1152م) بعدما أسقطوا دولة المرابطين[7]، هذه الدولة التي ظهرت في القرن السادس هجري وامتدت على كل بلاد بلاد المغرب والأندلس محققة وحدتها السياسية والتي كان لها الدور البالغ في التطور السياسي للمغرب الإسلامي والتفاعل الحضاري بين العدوتين المغربية والأندلسية، وقد استولى عبد المؤمن بن علي، بعد القضاء على دولة المرابطين في المغرب الأقصى على دولة الحماديين بالمغرب الأوسط بحيث استولى على

[1] – عبد العزيز فيلالي، العلاقات السياسية بين الدولة الأموية في الأندلس ودول المغرب، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1982م، ص ص 139-140.

[2] – محمد بن الخير بن محمد بن الخزر الزناتي المتوفي سنة (360هـ/791م) تولى أمر زناتة بعد وفاة يحى بن محمد وهو أحد أبرز أمراء أمراء زناتة أنظر: تقي الدين المقريزي، المقفى الكبير، تراجم مغربية ومشرقية من الفترة العبيدية، ط1، تح: عبد السلام اليعلاوي، دار الغرب الإسلامية، بيروت، 1987م، ص ص 25-53.

[3] – محمد ابن خلدون، العبر، ج7، ص 91.

[4] – لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص ص 25-26.

[5] – تنس: مدينة قديمة كان بها صور حصين وكانت مقصد للأندلسيين، أنظر ابن حوقل صورة الأرض، ج1، ط 1928م، ص 77.

[6] – لسان الدين بن خطيب، أعمال الأعلام، القسم الثالث، المصدر السابق، ص ص 225-265.

[7] – أبو بكر بن علي الصنهاجي (البيدق)، أخبار المهدي بن تومرت، تح: عبد الحميد حاجيات، دط، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1994م 1994م ص ص 225-285.

بجاية في (547هـــ/1152م) وواصل زحفه ففتح قلعة بني حماد، ودخل قسنطينة صلحا، وبذلك زالت دولة بني حماد ثن توجه جيش عبد المؤمن مع جيوش قبائل العرب التي انهزمت في معركتها مع الموحدين، وهكذا صار كل المغرب الأوسط خاضعا للدولة الموحدية [1]، وبقي الأمر على حاله حتى ضعف أمر الموحدين وتوزعت بلاد المغرب الإسلامي إلى ثلاثة دول هم دولة بني حفص بالمغرب الأدنى ودولة بني مرين بالمغرب الأقصى ودولة بني عبد الواد بالمغرب الأوسط.

3- المجال الجغرافي لبلاد الأندلس:

أولا- أصل التسمية:

يطلق اسم الأندلس على الأرض الواقعة شمال عدوة المغرب، وهي شبه مثلث تحيط به المياه من جهاته الثلاث، فمن الجنوب بحر الروم (البحر الأبيض المتوسط) ومن الغرب بحر الظلمات (المحيط الأطلسي) ومن الشمال بحر الأنقليشن (بحر الشمال) ولذلك سميت بالجزيرة [2]، أما سبب تسميتها الأندلس فقد اختلف المؤرخون في ذلك فمنهم من قال أنها سميت على الأندلس بن طبال بن يافث بن نوح الذي نزلها، كما نزل أخوه سبت العدوة المقابلة وإليه تنسب سبتة، وقيل نزلها شخص يسمى القندلش فعرفت به، ولما دخلها المسلمون عربوا الإسم إلى الأندلس [3]، ومنهم من قال أنها سميت نسبة للوندال (فيندال) الذين نزلوا بالسهل الواقع جنوب النهر الكبير، فأطلقوا اسمهم عليه (فندالوسيا)، ولما قدم المسلمون سموها الأندلس [4]، التي صارت مصطلحا جغرافيا يراد به عند المؤرخين والجغرافيين الأندلسيين كل شبه الجزيرة الأيبيرية "اسبانيا والبرتغال حاليا"، أو ما يسمى بالجزيرة الأندلسية، ثم صار يطلق بالتحديد على جميع المناطق التي استوطنها المسلمون من شبه الجزيرة الأيبيرية، وبعد زوال الوجود

[1] – محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ج3، ط2، مكتبة الخادجي، القاهرة، 1990م، ص 288.

[2] – أبو عبد الله التنسي، تاريخ دولة الأدارسة، تح: عبد الحميد حاجيات، دط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 112.

[3] – ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج4، ص 140.

[4] – شكيب أرسلان، الحلل السندسية في الأخبار والآثار الأندلسية، المجلد الأول، دط، منشورات دار مكتبة دار الحياة، بيروت، د.ت.ط، ص 32.

الإسلامي من إسبانيا، صارت الولايات الجنوبية التي تضم قرطبة وإشبيلية وغرناطة ويطلق عليها اسم أندلوثيا Andalucia [1].

أما إسم إسبانية فقيل سمت على رجل حكمها من القوط يدعى "إشبان بن طيطش" الذي بنى مدينة اشبيلية وسميت باسمه ثم عمم الاسم على كامل الأندلس. [2]

أما الحميري فذكر أن الاسم القديم للأندلس هو "أباريا" ثم أطلق عليها بعد ذلك "باطقة" ثم صارت تسمى "إشبانية" بسبب رجل قد ملكها في العصور القديم إسمه "إشبان"، وقيل عرفت بمن سكنوها في أول مرة، فسكنتها أولا إشبان فسميت بهم، ثم سكنها الأندليش فسميت أندلس [3]

وذكر البكري في كتابه المسالك والممالك أن إمها في القديم "أباريا" من واد أبرة ثم سميت بعد ذلك "باطقة" من وادي بيطى وهو نهر قرطبة، ثم سميت إشبانية من أجل رجل ملكها في القديم كنا إسمه "إشبان"، وقيل أنها سميت بالإشبان لأن الإشبان سكنوها في أو زمان على جرية النهر وما ولاه، وقال قوم أن اسمها على الحقيقة "إشبارية" مسماة من "بشيرى" وهو الكوكب المعروف بالأحمر، وسميت بعد ذلك بالأندلس من أسماء الأندليش الذين سكنوها [4] في الأزمنة الغابرة

وكان اسم الأندلس في البداية يطلق على كامل اسبانيا، ثم أصبح مقصرا على المناطق التي ساد فيها الإسلام من شبه الجزيرة الأيبيرية، و لم تراجع النفوذ الإسلامي بها، اقتصر الإسم على مملكة غرناطة [5]، ويبدو أن لفظ الأندلس صار مدلوله الجغرافي يتغير نتيجة للتحولات السياسية للدولة الإسلامية في

[1] – أحمد مختار العبادي، في تاريخ المغرب والأندلس، دط، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، د.ت.ط، ص 17.

[2] – أحمد بن محمد المقري، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب، تح: محمد البقاعي، ج1، ط1، دار الفكر للطباعة للنشر والتوزيع، بيروت، 1998م، 187.

[3] – الحميري، المصدر السابق، ص 32.

[4] – أبو عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي، المسالك والممالك، ج2، دط، دار الغرب الإسلامي، د.ب.ط، 1992م، ص 890.

[5] – الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان بن عبد الله القيسي أبو نصر، تاريخ الوزراء والكتاب والشعراء في الأندلس، تح: مدينة الشعراوي، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، بور سعيد، 2001، ص 06.

شبه الجزيرة، حتى ضاق معنى هذا المدلول فأصبح محصورا في آخر الممالك الإسلامية في الأندلس وهي مملكة غرناطة الصغيرة الواقعة في الناحية الجنوبية الشرقية من شبه جزيرة أبيريا. [1]

ثانيا- جغرافية الأندلس:

وقد وصف الجغرافيون الأندلسيون مناخ بلاد الأندلس فقالوا إنها خير الأقاليم، وأعدلها هواء وترابا وأعذبها ماءا وأطيبها هواء وحيوانا ونباتا... شامية في طيبها وهوائها يمنية في اعتدالها واستوائها، هندية في عطرها وذكائها، أهوازية في عظم جبايتها، صينية في جواهر معادنها، عدني في منافع سواحلها [2]، ويمكننا القول أن مناخ الأندلس معتدل الحرارة، لطيف أمطاره، وتزداد البرودة كلما اتجهنا شمالا.

ويبدوا أن المسلمين في بلاد الأندلس قد شكلوا شبكة دفاعية قوية تواجه أي هجمات تأتيهم من الممالك النصرانية المتموقعة في الشمال، وهذه الخطوط الدفاعية تسمى بالثغور الأندلسية، وقد اتخذ المسلمون فيها مدنا هامة، حيث جعلوها بمثابة قواعد عسكرية دفاعية، وأول هذه الثغور نجد الثغر الأعلى (الثغر الأقصى) وعاصمته سرقسطة، ويقابل المملكة النصرانية نبارة أو نفارة Navarra – Navarre والواقعة في الشمال والشمال الشرقي ويليه الثغر الأوسط وعاصمته مدينة سالم (Medinaceli) ثم طليطلة (Teledo) ويقابل مملكة قشتالة (Castella) النصرانية، وتقع بين ليون ونفار، ومملكة ليون النصرانية الواقعة في الشمال والشمال الغربي، ثالث الثغور هو طبعا الثغر الأدنى، وموقعه بين نهر دويرة وتاجة (Tajo) عاصمته في الأول كانت طليطلة، ثم تغير إلى مدينة أخرى لعلها قورية (Coria) [3]

4- الأوضاع السياسية لبلاد الأندلس:

دام الوجود الإسلامي في بلاد الأندلس ثمانية قرون وفي خلال الحقبة التاريخية العامرة بالأحداث السياسية والإنجازات الحضارية الكبيرة مرت بلاد الأندلس بعدة مراحل متباينة في القوة والضعف وفي النهوض والإنكسار.

---

[1] – العبادي، المرجع السابق، ص 17.

[2] – المقري، نفح الطيب، المصدر السابق ،ج1، ص 126.

[3] – عبد الرحمن علي الحجي، تاريخ الأندلس من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، ط2، دار القلم بيروت، 1981م، ص 38.

فأول من دخل الأندلس من المسلمين على ما يروى هو طريف البربري، الذي تنسب إليه جزيرة طريف [1] وهو أحد موالي موسى بن نصير، وقد جاز سنة (91هـ/709م)، وعاد بغنائم كثيرة مما جعل موسى بن نصير يعقد لوالي طنجة طارق بن زياد للجواز إلى الأندلس [2] فدخلها سنة (92هـ/ 710م) وإليه ينسب جبل الفتح، أو جبل طارق، وتمكن طارق من الاستيلاء على قرطبة وقتل ملك الروم بها "لوذريق" وفتح مدن عديدة [3].

وبذلك أصبحت الأندلس ولاية إسلامية يحكمها والي يعين من قبل الأمير أو الخليفة أو والي إفريقية إلى أن استطاع عبد الرحمان بن معاوية بن هشام (الداخل) الاستيلاء على الأندلس بمساعدة موالي بني أمية وإحياء الدولة الأموية بالمغرب بعدما اندثرت بالمشرق [4]

وعظمت الأندلس في عهد بني أمية إذ ظهرت هيبتهم وراعوا أحوال الشرع، كما عظّموا العلماء والفقهاء كعبد الرحمن الداخل صقر قريش [5]، والذي كان هو نفسه من أهل العلم وابن هشام الذي كان من أئمة العدل حتى قيل أنه كان بمنزلة عمر بن عبد العزيز [6].

ومع بداية القرن (4هـ/10م)عرفت الأندلس أوج ازدهارها سيما بعدما أعلن عبد الرحمن الناصر الخلافة سنة (300هـ/912م) وتسمى بأمير المؤمنين، وأخمد الثورات المناهضة له، واستطاع توسيع رقعة الدولة الأموية في الأندلس حتى قيل أنه لم يبقى في عهده مخالف ولا نازعه منازع [1].

---

[1] – طريف: مدينة صغيرة أمامها جزيرة في البحر، أنظر: ابن سعيد الغرناطي، المغرب في حلى المغرب، تح: خليل المنصور، ط1، ج1، بيروت، دار الكتب العلمية، 1997م، ص 242.

[2] – المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج1، ص 187.

[3] – أحمد بن عميرة الضبي، بغية الملمس في تاريخ رجال الأندلس، تح: روجين عبد الرحمن السويفي، ط1، دار الكتب العلية بيروت، 1997م، ص ص 15-16.

[4] – أبو بكر بن القوطية، تاريخ افتتاح الأندلس، تح: اسماعيل العربي، دط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1989م، ص ص32-40.

[5] – الخليفة العباسي أبا جعفر المنصور هو الذي أطلق على عبد الرحمن الداخل لقب صقر قريش إذ قال يوما لجلسائه: صقر قريش عبد الرحمن بن معاوية الذي عبر البحر وقطع القفر ودخل بلدا أعجميا منفردا بنفسه فمصّر الأمصار، وجند الأجناد ودون الدواوين ونال ملكا بعد انقطاعه بحسن تدبيره. أنظر: ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج4، ص ص 360-363.

[6] لسان الدين بن خطيب، أعمال الأعلام، القسم الثاني، المصدر السابق، ص ص 10-12.

ولكن سرعان ما عرفت الأندلس الضعف نتيجة الصراع على السلطة خاصة بعد وفاة المنصور بن أبي العامر الحاجب الذي استطاع بدهائه أن يغتصب السلطة من الخليفة هشام المؤيد بالله الذي تولى الخلافة سنة (365هـ/ 975م) بعد والده المستنصر، ورغم أن أهل الأندلس كانوا يروا في المنصور بن أبي عامر أنه مغتصب للخلافة من أصحابها، فإنه كان محبوبا نظير للأعمال الجليلة التي قام بها [2]، وبعد وفاته تدهورت أوضاع الأندلس فاستبد أمراء الولايات الأندلسية، وظهرت دويلات الطوائف إذ انقسمت الأندلس إلى حوالي عشرين إمارة أهمها: إمارة بني عباد بإشبيلية، بني ذي النون بطليطلة، بني توجيب وبني هود بسرقسطة، العامريون في بلنسية [3]، وبنو زيري في غرناطة وإمارات أخرى [4]

وقد استغل النصارى هذه الأوضاع بعد تفرق المسلمين، واختلافهم فيما بينهم، فراحوا يغيرون على تلك الإمارات الواحدة تلوى الأخرى، مما جعل بنو عباد وأميرهم المعتمد بن عباد [5] يستنجدون بالمرابطين الذين لبوا ندائهم [6] إذا جاز يوسف بن تاشفين سنة (479هـ/1086م)، ودخل في حرب مع النصارى وانتصر عليهم مع جيوش الطوائف في موقعة الزلاقة في رجب من نفس السنة (479هـ) أكتوبر (1086م) [7] ليعود بعد ذلك للمغرب، وسرعان ما تجددت الصراعات وعاد النصارى لعدوانهم مع المسلمين فأجاز يوسف بن تاشفين إلى الأندلس مرة ثانية سنة (481هـ/1088م) وبعد تخاذل جيوش الطوائف عاد إلى المغرب ناقما على أمراء الأندلس، وبعد سنتين من ذلك رجع إلى الأندلس

---

[1] – لسان الدين بن خطيب، أعمال الأعلام، القسم الثاني، المصدر السابق، ص ص 29–30.

[2] – من تلك الأعمال جهاده ضد النصارى، تحقيق العدل والأمن، تخليد عدد من المنشآت، أنظر محمد لبيب البتنوني، رحلة الأندلس دط، دار المصري للطباعة، مصر، 1998، ص 36.

[3] – تقع بلنسية شرق قرطبة، تعرف بمدينة التراب، وهي غاية الخصب واعتدال الهواء كانت تعرف بمطيب الأندلس، أنظر اليعقوبي، المصدر السابق، ص 195.

[4] – عن دويلات الطوائف، أنظر: ابن خلدون، العبر، ج4، ص ص 186–195.

[5] – المعتمد بن عباد، صاحب إشبيلية وقرطبة وما ولاهما من جزيرة الأندلس، أحد أكبر وأعظم أمراء الطوائف بالأندلس، أنظر: أحمد بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، دط، ج1، المطبعة الميمنية، مصر، 1310هـ، ص ص27–35.

[6] – عن دور المرابطين بالأندلس، أنظر: علي محمد الصلابي، فقه التمكين عن دولة المرابطين، ط1، مؤسسة إقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، 2006م، ص ص 66–125

[7] – ابن خطيب، أعمال الأعلام، القسم الثالث، المصدر السابق، ص ص 253–264.

(483هـ/1090م) وشرع في القضاء على أمراء الطوائف وتم له ذلك، وأصبحت الأندلس خاضعة للمرابطين [1].

ولما ظهرت دعوة الموحدين، القائمة على سفك دماء المرابطين [2] المعارضة لها ودخولهم معهم في حرب ضدهم تجددت الثورات والفتن بالأندلس، لا سيما بعد استنجاد الأندلسيين بهم ضد النصارى، فبعث عبد المؤمن بن علي بجيش تحت إمرة إبراهم بن يراز المسوفي سنة (541هـ/1147م) وبعدها استولى على الكثير من المدن كإشبيلية ولبلة [3]، تحرك عبد المؤمن إلى الأندلس بنفسه سنة (555هـ/1160م) [4]، وفي سنة (591هـ/ 1194م).

أجاز يعقوب المنصور واستطاع أن يهزم "أتفونش الثامن" ملك قشتالة في معركة الأرك [5]، وبعد وفاة المنصور خلفه إبنه الناصر، والذي بدوره أجاز إلى الأندلس سنة (609هـ/1212م) والتقى بجيش الأتفونش بموضع يعرف بالعقاب بالقرب من حصن سالم غير بعيد عن مدينة جيان [6] وقامت المعركة في صبيحة يوم الإثنين 15 سفر 609هـ الموافق لـ 16 جوان 1212م، وانتهت بهزيمة المسلمين [7].

ونتيجة لذلك تصاعدت حدة هجمات النصارى على المسلمين بالأندلس مملكة أراغون من الشرق وقشتالة من الشمال، والبرتغال من الجنوب، وفشل الموحدون في صد هجماتهم، ومما زاد من ضعف الموحدين تلك الثورات التي قامت ضدهم كثورة بني مردنيش بشرق الأندلس وثورة أبي سعيد

[1] – نفسه، القسم الثاني، ص ص 246-247.

[2] – نجد أن ابن تومرت ادعى العصمة، واستحل دماء المرابطين' بل قال أن قتلهم فيه ثواب عظيم.

[3] – لبلة: مدينة حسنة بالأندلس، لها صور منيع، وبها أسواق وتجارات ومنافع جمة، أنظر: الإدريسي، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، تح: إسماعيل العربي، دط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م، ص 265.

[4] – ابن الخطيب، أعمال الأعلام، القسم الثاني، المصدر السابق، ص 265.

[5] – ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج4، ص 200.

[6] – جيان: مدينة بالأندلس كثيرة الخصب، رخيصة الأسعار، كثيرة اللحوم، أنظر: الإدريسي، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، المصدر السابق، ص 259.

[7] – عبد الواحد المراكشي، المعجب، المصدر السابق، ص ص 235-236.

عثمان بن سعيد الحكم الأموي بمنرقة [1]، ولعل أهم ثورة هي ثورة محمد بن يوسف بن هود الجذامي، والذي خرج من مرسية سنة (625هـ/1227م)، واستولى على مناطق واسعة من الأندلس [2].

وبداية من القرن الثالث عشر ميلادي ظهرت على أنقاض الدولة الموحدية ثلاثة دويلات تقاسمت تركتها في بلاد المغرب الإسلامي.

[1] – ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج4، ص 198.

[2] – ا بن خطيب، أعمال الأعلام، القسم الثاني، المصدر السابق، ص ص 277-286.

الفصل الأول: الهجرة الأندلسية للمغرب الأوسط واقع ودوافع

1- السياق التاريخي السياسي لبلاد المغرب الأوسط والأندلس (13-15 م).

2- دوافع الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأوسط.

3- مراحل الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأوسط.

1- واقع الهجرة الأندلسية للمغرب الأوسط:

مرت بلاد الأندلس خلال القرن الثالث عشر ميلادي بأوضاع سياسية حرجة شهدت خلالها مرحلتين مهمتين هما مرحلة اجتياح الممالك المسيحية للمدن الأندلسية والاستلاء عليها، ومرحلة تأسيس مملكة غرناطة وهذه الأخيرة التي أسقطها الصليبيون بعد حصار مرير، وبسقوطها فتح باب الهجرة إلى العالم الاسلامي خاصة والمغرب الأوسط تحديدا.

1-1- الوضع السياسي للمغرب الأوسط والأندلس (13-15م):

- الوضع السياسي للمغرب الأوسط:

- نهاية الدولة الموحدية:

لقد كانت دولة الموحدين قوية[1] مترامية الأطرف [2] استطاعت ان تحافظ على استمرارية وحدة ترابها الممتد من برقة شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا، والبحر الأبيض المتوسط والأندلس شمالا إلى الصحراء جنوبا، تحت نظام إداري مركزي موحدي، ولعل لهذه الفترة الزمنية أهميتها على الصعيد المغربي والأندلسي، ذلك أن الدولة الموحدية أصبحت تمثل قوة سياسية فاعلة، وقوة عسكرية ضاربة في غرب البحر المتوسط، في الوقت الذي كان فيه العالم الإسلامي يعاني من وطأة الحروب الصليبية المدمرة، والهجوم الماغولي الكاسح، والاسترداد الاسباني المطرد، فقد كان الموحدون في ذلك الوقت حماة دار الإسلام في بلاد المغرب والأندلس، وساهموا في رد العدوان الصليبي على بيت المقدس إلى جانب إخوانهم في الدين من أهل المشرق بجيوشهم البرية وأساطيلهم البحرية، إلا أنه في مطلع القرن الثالث عشر ميلادي بدأت الأوضاع تتغير على الساحة المغربية والأندلسية ولا سيما بعد معركة العقاب المشؤومة [3] التي وقعت سنة (609هـ/1212م) ، والتي مثلت تغلغل الضعف في جسم الدولة الموحدية المنهزمة [4]، ومن جهة أخرى اعتبرت هذه الهزيمة

---

[1]- محمد بن عمرو الطمار، تلمسان عبر العصور ودورها في سياسة وحضارة الجزائر، دط، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 1984م، ص 79.

[2]- أنظر الملحق رقم (01) ص 79.

[3]- معركة العقاب: دارت هذه المعركة بين الموحدين بقايدة محمد الناصر الموحدي، وبين الجيش المسيحي الاسباني بقيادة ألفونسو الثامن، بموضع يعرف في المصادر العربية باسم العقاب، نسبة إلى حصن قديم ينسب إلى الأمويين وفي المصادر الاسبانية LAS NAVAS DE TOLOSA، الذي يعني الوديان الفسيحة، وانتهت بانتصار الاسبان، أنظر: ابي زرع الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار المغرب وتاريخ مدينة فاس، تح: عبد الوهاب بن منصور، دط، دار المنصر للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م، ص ص 238-239.

[4]- فاطمة بوعمامة، اليهود في المغرب الإسلامي خلال القرنين السابع والثامن هجري الموافق 14-15م، ط1، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2010م، ص 40 .

بمثابة النهاية الحقيقية لفترة الإسلام في الأندلس، خاصة بعد وفاة الخليفة الموحدي أبي عبد الله محمد الناصر الموحدي سنة (610هـ/1213م)، والذي تولى بعده خلفاء ضعاف مثل الخليفة المستنصر بالله أبي يعقوب بن محمد الناصر ، وقد شهد عهده كثيرا من الثورات والفتن [1]، حيث زادت هجمات الممالك النصرانية على دولة الموحدين بعد ذلك، أرغون من الشرق وقشتالة من الشمال، والبرتغال من الغرب، وفشل الموحدون في صد تلك الهجمات[2].

الدولة الزيانة :الاصل والنشأة:

1- أصل بني عبد الواد:

يعود بنو عبد الواد في الأصل إلى قبيلة زناتة الكبدي وهم عدة يصلون منهم: بنو يتكين وبنو وللو، مصوجة، بنو ور سطيف، بنو القاسم [3]، ومن هذا الأخير ينحدر بنو عبد الواد، وإن كانت المصادر تتفق على هذا فإنهم يختلفون في نسب القاسم، إذ يروى أن القاسم نزل على بطن عبد الواد وتزوج منهم منسل ذرية كبيرة [4]، وبذلك يرفعون نسبه إلى آل البيت، من ذرية علي بن أبي طالب، ولكن عبد الرحمن بن خلدون ينفي ذلك، ويقول أنه مجرد زعم اتفق عليه بنو القاسم، وحتى يغمرسن بنو زيان (633-681هـ/1235-1282م) أول سلاطين بنو عبد الواد لما رفعوا نسبه إلى آل البيت، أنكر ذلك وقال بالزيانية ما معناه "إن كان هذا صحيح فينفعنا عند الله أم الدنيا فقلناها بسيوفنا" [5] .

---

[1]–عصام محمد شبارو، الأندلس من الفتح العربي المرصود إلى الفردوس المفقود، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 2002م، ص 271.

[2]– خالد بلعربي المرجع السابق، ص 37.

[3] – يحى بن خلدون، بغية الرواد في ذكر الملوك من بني عبد الواد، تح: عبد الحميد حجيات، دط، ج1، المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، 1980م، ص 186.

[4]– عن نسب القاسم، أنظر: يحى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص186.

[5]– ابن خلدون، المصدر السابق، ج7، ص 86.

وكان بنو عبد الواد قبل الملك يستوطنون المناطق الجنوبية من المغرب الأوسط ويجوبون الصحراء بمواشيهم، ويترددون ما بني فكيك ومديونة إلى جبل بني راشد ومصاب [1]، وبقوا على ذلك الحال حتى تغلب الموحدون على أعمال المغرب الأوسط، فكان بن عبد الواد سباقين إلى طاعتهم، ومن أخلص أوليائهم وأنصارهم، فاتخذهم الموحدون حماة لقصر تلمسان وبلاد الزناتة [2].

2- قيام الدولة الزيانية:

استغل بنو عبد الواد ضعف الموحدين نتيجة انشغالهم بقمع الثورات المناهضة لهم كثورة بني غانية [3]، وانشغالهم بحرب القشتاليين بالأندلس، إضافة إلى ثورات القبائل كثورة غلوان الغماري سنة (595هـ/1198م)، وثورة أبي قصبة عبد الرحمن (597-600هـ/1200-1203م) وغيرها [4].

أما الحدث البارز والذي كان له تأثير مباشر في ضعف الموحدين هو انهزامهم في معركة حصن العقاب بالأندلس ضد النصارى سنة (609هـ/1212م) [5]، والتي كانت بداية لنهاية الوجود الإسلامي بالأندلس، إذ استولى المسيحيون على عدد من المدن الحصون وعاثوا فيها فسادا، ونتيجة لضعف الدولة الموحدية صار شيوخ القبائل المحالفة يتدخلون في شؤون الحكم ووصل الأمر بهم إلى حد تغيير الخلفاء، وفي هذه الظروف بسط بنو عبد الواد نفوذهم على ضواحي المغرب الأوسط،

---

[1]- لخضر عبدلي، المرجع السابق، ص ص 29-30.

[2]- يحى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 198.

[3]- بنو غانية: من أعقاب علي بن يحى المسوفي الذي كان كقربا من علي بن تاشفين وتزوج إمرأة من القص المرابطي تدعى غانية فولدت له ولدان محمد ويحى اللذان تربيا في بلاط المرابطين، ولماكبرا عينا ولاة بالأندلس، أنظر: عبد الرحمن الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ط1، ج1، المطبعة العربية الجزائر، 1953م، ص ص 371-373.

[4]- عبد العزيز سالم، المغرب الكبير، ج2، ص ص 816-819.

[5]- عبد الواحد المراكشي، المصدر السابق، ص 235.

ولما شعر الوالي الموحدي [1] بخطرهم اعتقل جماعة من أعيانهم، فتشفع فيه إبراهيم بن إسماعيل اللمتوني أمير المستخدمين في جند تلمسان، ولما ردت شفاعته ثار على الوالي الموحدي أبو سعيد عثمان فأطلق صراح شيوخ بني عبد الواد، وكان هدفه إحياء الدولة اللمتونية من جديد، فأراد التخلص من بني عبد الواد، ودبر خطة لقتل أشياخهم، لكن أمره انكشف واعتقل هو وأصحابه وأثناء ذلك دخل جابر بن يوسف شيخ بني عبد الواد تلمسان، ودعى للمؤمون الموحدي سنة (627هـ/1229م) [2] وبايعته أحواز تلمسان ما عدا ندرومة، فزحف إليها وحاصرها وقتل بها سنة (629هـ/1231م) ثم عزل وعين مكانه أبو عزة زيدان بن زيان [3]، وبعد وفاته قدم أخوه يغمراسن بن زيان [4] سنة (633هـ/1236م)، والذي اشتغل بالحكم وعلا به صيت الدولة العبد الوادية [5]، إذ اتخذ الآلة ورتب الوزراء والجند واتخذ الكتاب، وبعث في الجهات العمال، ولبس شعرة الملك والسلطان [6]

– السياق التاريخي السياسي لبلاد الأندلس:

الملاحظ أنه خلال القرن الثالث عشر ميلادي وانتهاء القرن السادس عشر ميلادي أن بلاد الأندلس مرت سياسيا بمرحلتين منفصلتين هما مرحلة اجتياح الممالك المسيحية للمدن الأندلسية واستيلائها عليها وتحويلها إلى مدن نصرانية تعيش فيها أقلية مسلمة مضطهدة ومهددة بالإنمحاء

[1]– كان والي تلمسان أنذاك أبوم سعيد عثمان بن يعقوب المنصور: أخو الخليفة الموحدي إدريس المؤمون،(624-630هـ/1227-1230م). أنظر: أبو عبد الله التنسي، تاريخ بني زيان ملوك تلمسان، تح: محمود عياد، دط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985م، ص 112.

[2]– أبو عبد الله التنسي، المصدر السابق، ص 112.

[3]– ابن خلدون، العبر،المصدر السابق ج7، ص 93.

[4]– يغمراسن بن زيان: (633-681هـ/1235-1282م) أول سلاطين بني عبد الواد ومؤسس دولتهم، قال فيه عبد الرحمن بن خلدون: "كان من أشدهم بئسا ، وأعظمهم في النفوس مهابة وجلالة"، أنظر ابن خلدون، العبر،المصدر السابق ج7، ص 93.

[5]– يحى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 200.

[6]– ابن خلدون، العبر،المصدر السابق ج7، ص 93.

ومرحلة تأسيس إمارة غرناطية في جنوب شبه الجزيرة الأيبيرية بزعامة أسرة بني الأحمر التي بقيت الملاذ الوحيد للأندلسيين.

دولة بني نصر (بني الأحمر) الملاذ الأخير وإعلان النفير:

كانت معظم الأندلس في النصف الأول من القرن الثالث عشر ميلادي في يد محمد بن يوسف بن هود، الذي تغلب على شرق الأندلس، وقد تصدى له محمد بن يوسف بن نصر الذي يعرف بالشيخ وابن الأحمر [1] ، وبعدها أظهر هذا الأخير شجاعة وبأسا بويع له سنة (629هـ/1231م) بضواحي جيان،ثم استولى على غرناطة واتخذها عاصمة لملكه (635هـ/1237م) [2] وانحصرت حدود هذه المملكة في جنوب الأندلس بين نهر الواد الكبير [3] شمالا والبحر المتوسط جنوبا، وضمت ثلاثة ولايات كبرى هي:

- غرناطة: وأهم مدنها غرناطة، لوشة، وادي آش [4].

- مالقة: أهم مدنها مالقة، رندة [5]، الجزيرة الخضراء [6]، جبل طارق.[7]

---

[1]- لسان الدين بن الخطيب، اللمحة البدرية في الدولة النصرية، ط2، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1980م، ص 32.

[2]- ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 33.

[3]- نهر كبير بإسبانيا، لازال إلى اليوم بهذا الاسم، (غواد لكبير)، أنظر: علي بن سالم الورداني، الرحلة الأندلسية، تح: عبد الجبار الشريف، دط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، الدار التونسية للنشر، تونس، 1984م، ص 56.

[4]- وادي آش: عبارة عن رصيف تجتمع فيه طرق كثيرة مشيدة بين الجبال، أهلهاأهل بادية، أنظر: أحمد بن مهدي الغزال، نتيجة الإجتهاد في المهادنة والجهاد، تح: إسماعيل عربي، دط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984م، ص 193.

[5]- رندة: إحدى معاقل الأندلس الممتنعة وقواعدها السامية المرتفعة، أنظر: ابن سعيد الغرناطي، المصدر السابق، ج1، ص 257.

[6]- الجزيرة الخضراء: هي من أحسن ندن الأندلس وأطيبها، وأجمعها لخير البرو البحر، أرضها أرض زرع وضرع، المصدر السابق، ج1، ص257.

[7]- جبل طارق: يسمى كذلك بجل الفتح، ويسمى جبل طارق لأن طارق بن زياد الزياني لم جاز إلى الأندلس بمن معه من البربر تحصنوا بهذا الجبل، أنظر: الإدريسي، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، ص 263.

- ألميرية: وأهم مدنها ألميرية، برجة، بيرة [1]

وعرفت مملكة غرناطة تدفق العديد من المهاجرين إليها بعد أن استولى النصارى على مدنهم وحصونهم كبلنسية، مرسية ، جيان، إشبيلية، قرطبة وغيرها [2].

وواجه ابن الأحمر (مؤسس الدولة) عدة مشاكل وصعوبات لعل أبرزها الثورات المناهضة له من جهة وإغارة النصارى على لمدن والحصون التي استولى عليها، الأمر الذي جعله يستنجد ببني مرين وبعهد قيادة الجيش إلى قواد المغاربة عرفوا باسم شيوخ الغزاة وأهمهم أسرة بنو يعلي، وعلى رأسهم الشيخ عثمان بن أبي العلاء الإدريسي بن عبد الله [3]، وكان لشيوخ الغزاة [4] دورا كبيرا في في محاربة النصارى إذ حققوا انتصارات هامة، ولكن في المقابل كانوا شوكة خطيرة على عرش بني الأحمر يحسب لها حسابها، إذ كانوا في بعض الأحيان يتدخلون في بعض شؤون الحكم حتى وصل بهم الأمر إلى حد عزل السلطان وتعيين آخر مكانه [5].

ومن أهم ملوك بني نصر (بني الأحمر) محمد بن يوسف بن نصر (635-671ه/1237-1272م) أول سلاطين بني نصر، والمعروف بالشيخ [6]، وقد دعى للمنتصر العباسي، وحذا بذلك

[1]- لسان الدين بن خطيب، كناسة الدكان بعد انتقال السكان، تح: كمال شبانة، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2003م، ص ص 13-15.

[2]- المقري، نفح الطيب، المصدر السابق ج5، ص 263.

[3]- ابن الخطيب، المصدر السابق، ص 21.

[4]- عن مشيخة الغزاة، أنظر: ابن خلدون، العبر، المصدر السابق ج7، ص ص 433-448.

[5]- ابن الخطيب، كناسة الدكان،المصدر السابق ص ص 24-25.

[6]- ابن الخطيب، شرح رقم الحلل في نظم الدول، تح: عدنان درويش، دط، منشورات دار الثقافة دمشق، 1970م، ص 319.

حذو ابن هود، ولكن سرعان ما خلع الدعوة[1] محمد الثاني المعروف بالفقيه (671-701هـ/1272-1301م) وإسماعيل الأول بن فرج (713-725هـ/1313-1324م) ويوسف الأول أبو الحجاج الغالب بالله (733-755هـ/1332-1354م) [2] والذي وقعت في عهده معركة طريف التي انهزم فيها المسلمون أمام النصارى سنة (741هـ/1340م)[3] أما آخر سلاطين بني نصر فهو محمد أبو عبد الله الذي حاصر الإسبان عاصمته غرناطة، واضطر إلى تسليمها سنة (898هـ/1492م) مقابل عدة شروط لم يحترمها المسيحيون، وبسقوط غرناطة انتهى الحكم الإسلامي بالأندلس الذي دام أكثر من ثمانية قرون [4].

ودخل ملكي قشتالة الملكة إيزابيلا والملك فرديناند سنة (898هـ/1492م) غرناطة قاصدين قصر الحمراء ليعلنا انتصارهما وبالمقابل غادر أبو عبد الله محمد ليتخذ من البشارات المطلة على غرناطة مقرا له، وقد رأى فوق هذا المكان قصره الحمراء، وقد علته الصلبان، وأعلام النصارى الإسبان، فبكى ملكه الضائع، وأطلق زفرته الأخيرة، فقالت له أمه مقولتها المشهورة: "أجل فلتبك كالنساء، ملكا لم تستطع أن تدافع عنه كالرجال" [5]، فأخذ المكان الذي شهد هذا المشهد الحزين اسم "زفرة العربي الأخيرة"، ثم أمر ملكي قشتالة أبا عبد الله محمد بالخروج من بلاد الأندلس فرحل إلى العدوة المغربية واستقر في مدينة فاس. [6]

[1]- ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة، ط1، ج2، شكرة طبع الكتب العربية، مصر، 1901م، ص ص 59-62.

[2]- ابن الخطيب، كناسة الدكان، ص 19.

[3]- المقري، شهاب الدين أحمد بن محمد التلمساني، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، دط، ج1، تح: مصطفى السقا، إبراهيم الأبياري عبد الحفيظ شلبي، القاهرة، د.ت.ط، ص ص 203-207.

[4]- محمود السيد، تاريخ العرب في بلاد الأندلس، دط، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2003م، ص ص 107-120.

[5]- محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ج5، ص 257.

[6]- مؤلف مجهول: نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر، تسليم غرناطة ونزوح الأندلسيين إلى المغرب، ضبطه وعلق عليه الفريد البستاني، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 2002م، ص 43.

وهكذا غربت شمس الأندلس المسلمة الزاخرة بأنوار الحضارة وأخلاق التسامح، لتحل محلها إسبانيا النصرانية التي مارست كل صنوف التعذيب والإكراه، وأقامت محاكم التفتيش المخربة، وأجبرت مسلمي الأندلس على التهجير القسري والتمسيح الإجباري والتعذيب الوحشي.

وعليه سوف نتطرق في المطلب الثاني إلى تتبع داوفع الهجرة الأندلسية وأسبابها.

1-2. دوافع الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأوسط:

رغم سعي الموحدين لصد هجمات النصارى و التي تكللت بإحرازهم للإنتصارات حاسمة في بعضها كما حصل في معركة الأرك ،إلا أن الأمر أحذ يخرج عن نطاق السيطرة بسبب ضعف الموحدين نتيجة للثورات الداخلية والفتن.والذي يهمنا هو إستقصاء الأسباب التي شكلت منعطفا حاسما دفع بأهل الأندلس إلى مغادرة وطنهم .وأرض أجدادهم .ولعل أبرز ما دفع بالمهاجرين على الهجرة مايلي:

التنصير القسري:

تؤكد الوثائق المكتشفة في أرصدة محاكم التفتيش أن الاسبان لم يحترموا بنود معاهدة تسليم غرناطة[1]، وحاربوا كل ما هو غير كاثوليكي، ووزعت محاكم التفتيش بيانا كاشفا عن مظاهر أتباع الدين الإسلامي للوشاية بالمسلمين، وقد تسبب هذا البيان في محاكمة الآلاف من المتهمين

[1] –هي معاهدة تم على اثرها تسليم المدينة المعقل الاسلامي منذ250سنة,وقد وضعت عدة اشهر من قبل خلال خريف 1491م في اطار تسمية سرية بين اخر ملوك بني نصر,محمد الحادي عشر المعروف باسم ابي عبد الله وبين الملكين الكاثوليكيين ازابيلا وفرديناند تقضي بتسليم المدينة دون سفك الدماء,بمقابل السماح للمسلمين بحرية ممارسة شعائرهم الدينية,ماريا روزا مينوكال,الاندلس العربية اسلام الحضارة وثقافة التسامح,تر:عبد المجيد جعفة ومصطفى جباري,ط1,دار توبقال للنشر,د ب ط ,2006م,ص 186

الذين وقعوا في فخ الوشاية والحقد والانتقام، وحكم على الباقين بالسجن والجلد والاسترقاق والتهجير [1].

فلما دخلنا تحت عقد ذمامهم

بدا غدرهم فينا بنقص العزيمة

وخان عهودا كان قد غرنا بها

ونصرنا كرها بعنف وسطوة

غدرنا ونصِّرنا وبدل ديننا

ظلمنا وعوملنا بكل قبيحة [2]

كان الأندلسيون بين رحى التعذيب والهجرة قبل فرض سياسة التنصير، وحيث وجب أن يغيب عنا أن الدين قد أثر على فكر الإسبان وسلوكهم خلال القرن الخامس عشر، وعليه فإن التعصب الديني كان قابعا في سياسة ملوك إسبانيا، إذ تولد عنه الخوف المستمر من بقاء المسلمين بإسبانيا.

2- الاحتفال بالشعائر الدينية:

كان لزاما على الموريسكيين حضور مختلف الطقوس المسيحية وإلا تعرضوا لمصادرة أملاكهم أو السجن وهذا ما سجلته الأبيات التالية:

ومن لم يجي منا لموضع كفرهم

يعاقب اللباط شر العقوبة

[1]- لوي كارديك، الموريسكيون الأندلوسيون والمسيحيون (المجابهة الجدلية) (1492-1640م)، تر: عبد الجليل التميمي، ط1، منشورات المجلة التاريخية المغربية وديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م، ص ص 114-115.

[2]- المقري, المصدر السابق، ص 113.

ويلطم خذيه ويأخذ ماله

ويجعله في السجن في سوء حاله [1]

وللسير قدما في تطبيق سياسة الإندماج. قررت السلطات الإسبانية تحت إشراف الأساقفة أن لكل الموريسكيين يجب عليهم تلقي مراسيم دفن كنسي، وأنه يتحتم عليهم دفن موتاهم في نفس مقابر المسيحيين.

ومن جاءه الموت و لم يحضر الذي

يذكرهم لم يدفنوه بحيلة

ويترك في زبل طريحا مجلدا

كمثل حمار ميت أو بهيمة [2]

وقد لاحق الموريسكيين رجال الكنيسة، وأعوان محاكم التفتيش على الصلاة والصوم، ومنعوهم من تأدية الشعائر الإسلامية:

ومن صام أو صلى ويعلم حاله

ففي النار يلقوه على كل حال

وفي رمضان يفسدون صيامنا

بأكل وشرب مرة بعد مرة [3]

[1]- المقري، أزهار الرياض، ج1، ص 112.

[2]- نفسه، ص 112.

[3]- المقري، أزهار الرياض، د1، ص 112.

وظل الموريسكي متمسكا بعبادته، وهو في السجن وتحت وطأة التعذيب، وسيتحول هذا الشعور إلى حقد المسيحيين على الموريسكيين، ويتطور بشكل سريع لينتقل من حقد ديني إلى حقد عام وشامل لجميع التقاليد والعادات الموريسكية. [1]

التقاليد والعادات:

أجبر المسيحيون المرأة الأندلسية على التبرج وأكل الخنزير والجيفة وبالاختلاط مع الأجانب بالإضافة إلى عدم التلفظ باسم النبي محمد عليه الصلاة والسلام بل بشتمه أيضا وهذا ما يوضحه البيت التالي:

وقد أمرونا أن نسب نبينا

ولا نذكره في رخاء ولا شدة [2]

الإقصاء الحضاري:

تميزت هذه المرحلة بقيام الموريسكيين بعشرات الثورات ضد التعسف، ومما لا شك فيه أن الملكين الكاثوليكيين ايزابيلا وفرديناند كان على اتفاق مع رجال الدين وأعمال التنصير القسري، فقد كان هؤلاء يؤمنون بأن وحدة العقيدة والروح هي الأساس الأول الذي يمكنه من توحيد اسبانيا المجزئة

وتمسك المسلمون بدينهم بقوى أواصر الصلة بينهم وبين إخوانهم بالمغرب وفي العالم الإسلامي، ومن ثم فإن تنصير المسلمين أو إخراجهم هو الضمان الوحيد لسلامة اسبانيا ووحدتها. [3]

العامل الديني:

---

[1]- نفسه، ج1، ص 112.

[2]- نفسه، ج1، ص 112.

[3]- يسلى الصباغ، ثورة مسلمي غرناطة عام 976هـ أواخر عام 1568 والدولة العثمانية، مجلة الأصالة، الجزائر، العدد 27، أكتوبر 1973م، ص .

تعمقت روح الكراهية عندما أصدرت السلطات الأوامر بحرق المصاحف والآلاف من الكتب العربية الحاملة للعلوم والثقافات والتي قدرها المؤرخون بعشرات الألوف. [1]

وكان الهدف من وراء هذه العمليات الإقصائية هو طمس معالم الحضارة العربية الإسلامية بالأندلس وفي هذا السياق تشير القصيدة:

وأحرق ما كانت لنا من مصاحف

وخلطها بالزبل أو بالنجاسة.

العامل الثقافي:

لقد تم القضاء على الموروث الحضاري الإسلامي الذي خلدته الأندلس عبر الأجيال زهاء ثمانية قرون، حيث تشير القصيدة إلى ذلك بصراحة:

و لم يتركوا فيها كتابا لمسلم

ولا مصحفا يخلى به للقراءة [2]

العامل الاجتماعي:

منعت السلطات الاسبانية الأندلسيين من ارتداء الملابس العربية وأجبرهم على تغيير أسمائهم العربية الإسلامية إلى أخرى إسبانية مسيحية.

وقد بدلت أسماؤنا وتحولت

[1]- محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس، ص 346.

[2]- نفسه, ص 346.

بغير رضا منا وغي إرادة [1]

وبإلحاح من البابا بروما أصدر ملك إسبانيا فيليب الثاني قرارات ذات تدابير صارمة في حق الموريسكيين منها توصيات اقترحها رجال الكنيسة يمكننا إجمالها في النقاط التالية:

- منع استعمال الألبسة العربية.
- إجبار الموريسكيين على ترك أبواب بيوتهم مفتوحة أيام الجمعة والأعياد.
- يمنع النساء من التنظيف ودخول الحمامات.
- يمنع على المرأة الزواج طبقا لمبادئ الشريعة الإسلامية.
- منع الآباء من تلقين أبنائهم الشعائر الإسلامية.
- إجبار الأطفال على حضور الحفلات الدينية المسيحية في الكنائس. [2]

وقد تعرض الموريسكيون الذي كانوا يعيشون في مختلف مناطق الأندلس إلى إبادة جماعية وهذا حسب ما ورد في القصيدة:

وقد بدلت أسماؤنا وتحولت

بغير رضا منا وغير إرادة [3]

فسل وحرا على أهلها كيف أصبحوا

أسارى وقتلى تحت ذل مهانة

وسل بلفيقا [4] عن قضية أمرها

لقد مزقوا بالسيف من بعد حسرة

ومنياقة بالسيف مزق أهلها

[1]- محمد عبد الله عنان، المصدر السابق، ص 43.

[2]- لودي كارديك، المصدر السابق، ص 43.

[3] - نفسه, ص43

[4]- قلعة بالرمة، أنظر المقري، أزهار الرياض، ج1، ص 41.

كذا فعلوا أيضا بأهل البشرة [1]

والدرش بالنار أحرق أهلها

بجامعهم صاروا جميعا كفحمة [2]

والذي شجع الموريسكيين على الهجرة صدور فتاوى من طرف فقهاء المغرب والتي أكدت على وجوب الهجرة: "إن الهجرة من أرض الإسلام فريضة إلى يوم القيامة... ولا تسقط هذه الهجرة الواجبة على هؤلاء الذين استولى الطاغية (الملك) لعنه الله على معاقلهم وبلادهم إلا قصور العجز بكل وجه، وحال الوطن والمال، فإن ذلك كله ملغى في نظر الشرع". [3]

وتجدر الإشارة هنا إلى أن القصيدة تنصح وتحذر الأندلسيين وتشجعهم أيضا على الهجرة، وكأنها تحضر الأجواء النفسية والمادية لاستقبال اللاجئين في الضفة الأخرى من العالم الإسلامي وهذا على الصعيدين الشعبي والرسمي.

ومن شاء من البحر مؤمنا

بما شاء من مال إلى أرض عدوة [4]

والمتتبع للأحداث التاريخية يلاحظ أن الأجواء والخلفيات التي حفت صدور الطرد كانت نابعة من إرادة سياسية محضة، لكن القصيدة التي أوردها المقري في "أزهار الرياض" تعكس وجهة القرار الذي كانت أبعاده أعمق بكثير حيث تتجلى في البعدين البسيكولوجي والاقتصادي معا، فعلى الصعيد البسيكولوجي كان قرار الطرد يسبب الخوف والقلق المستمر من طرف الإسبان

[1]- البشارات: جبال بمنطقة غرناطة، أنظر المقري، المصدر السابق، ج1، ص 41.

[2]- نفسه، ص 112.

[3]- أبو العباس أحمد بن يحى الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى إفريقية والأندلس والمغرب، إشراف عبد الرحمن المجد، دط، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1981، ص ص 121-122.

[4]- المقري أزهار الرياض، المصدر السابق، ج1، ص 103.

شعبا وحكومة الذين شاهدوا بأعينهم تصاعد الثورات والرفض المطلق الذي أبداه الأندلسيون ضد سياسة التنصير والإدماج، أما على الصعيد الاقتصادي فيتضح من خلال الحقد والانتقام النابع لنفسية المسيحي تجاه الموريسكي الذي عرف بنشاطه التجاري والحرفي المميز بالرخاء في إسبانيا المسيحية. [1]

1-3- مراحل الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأوسط:

يمكن تقسيم المراحل التي مرت بها الهجرة الأندلسية إلى مرحلتين أساسيتين هما مرحلة ما قبل سقوط غرناطة ومرحلة ما بعد سقوطها.

1- مرحلة ما قبل سقوط غرناطة:

كانت أحوال الأندلس في هذه الفترة ومن خلالها غرناطة تتردد بين القوة والضعف، وبين الثبات والهزيمة، وبين الأمن والقلق، وبين الهدوء والإضطراب، رغم ذلك ففي الداخل كانت كثيرا من الأوقات خلال عمرها البالغ حوالي قرنين ونصف – تمتلئ بالإنتاج، كما تطفح بالخير والرفاه توفرت لها أيام مشهودة في الانتصار والغلبة، ومع قلة الإمكانيات وقسوة الظروف وبكثافة الأعداء... والملاحظ أن الهجرات الأندلسية في هذه المرحلة أصبحت ظاهرة اجتماعية ملموسة [2] وقد أطلق عليها ابن خلدون اسم الجاليات [3].

ويبدو أن الحضور الأندلسي قد ترسخ وجوده أكثر في المغرب الأوسط بع أن قامت الدولة المرابطية، ثم الدولة الموحدية[4] بضم أقاليم بلاد الأندلس إلى ممتلكاتها بالمغرب الإسلامي. [1]

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، العهد العثماني، دط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م، ص 133.

[2]- خليل ابراهيم الكبسي، هجرة الأندلسيين وتهجيرهم إلى المغرب العربي، مجلة المجمع العلمي العراقي، العراق، المجلد 44، ج3، 1987م، ص 135.

[3]- ابن خلدون، العبر، ج7، ص 106.

[4]- أنظر الملحق رقم 01، ص 86.

وأخذت مملكة غرناطة تنحدر نحو نهايتها بشكل واضح في الأيام الأخيرة من حياتها، لما اشتد تأثير العوامل المفتتة لوحدتها والمهلكة لقوتها، كان بعض هذا نتيجة لسوء تصرف بعض الحكام أو الشذوذ في تصرفهم، كذلك لهبوط الحال والانشغال بالنزاعات الداخلية وصرف الجهود في خصومات كانت أولى أن تتحد لتواجه العدو في وقت كان العدو يقوى والنصير يقل.

غير أن ما زاد من أعدادا المهاجرين الأندلسيين إلى العدوة المغربية في مرحلة ما بعد سقوط الخلافة الأموية وحول الهجرة الأندلسية إلى اللجوء السياسي والبحث عن الأمان والاستقرار هو حدوث الاضطرابات السياسية ونشوء النزاعات العسكرية في بلاد الأندلس [2].

إن بعض هذه الحالة كانت مبكرة، لكن قوة الأمة كانت تحتمل، حتى وصلت إلى مرحلة أصبحت عاجزة عن تحملها [3]، اشتد ضغط اسبانيا النصرانية في هذه المدة يكون ذلك –أحيانا– بإمدادات خارجية صليبية كبر هجومها، مستفيدة من تلك الظروف، ثم إن المبالغ التي دفعت لإسبانيا النصرانية، حيث فرضتها لتفوقها، بجانب ما تنازل عنه بعض سلاطين غرناطة الضعاف، من الحصون والمدن، كل ذلك كان يفت في عضد الأمة ويشكل خطرا يقود إلى مثل هذه النهاية. [4]

ولعل أول حدث فتح باب الهجرة الأندلسية إلى العدوة المغربية هو ما قام به ملك قشتالة "ألفونسو السادس" من الاستيلاء على مدينة طليطلة سنة 478هـ/1085م.

وكان لانهيار الدولة الموحدية الأثر الكبير في بدأ مرحلة جديدة من الهجرات الجماعية للأندلسيين إلى بلاد المغرب الإسلامي، وبالتالي بدأت مرحلة جديدة لها أثرها على وتيرة الهجرات الأندلسية في منطقة المغرب الأوسط، الذي تمثله الدولة الزيانية الذين أعطوا أهمية كبرى للمهاجرين

[1]– ناصر الدين سعيدوني، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر، العهد العثماني، ص 127.

[2]– خليل ابراهيم الكبيسي، المرجع السابق، ص 163.

[3]– أنظر الملحق رقم 03، ص 88.

[4]– عبد الرحمن علي الحجي، التاريخ الأندلسي، ص 562.

اللاجئين إليهم. من بلاد الأندلس والذين كان في معظمهم من الأعلام وأهل البيوتات ومن وجوه القوم وأعيان الأندلس وبالتحديد من الجهة الشرقية منها. [1]

2- مرحلة ما بعد سقوط غرناطة:

لم تكن مصيبة الأمة الإسلامية في الأندلس تنتهي بزوال سلطانهم السياسي وسقوط إسلامي بيد سلطات إسبانيا النصرانية المتحدة [2]، بل إن مصيبة جديدة تبدأ، إنها مأساة الأمة هناك، مأساة تمثل فيها الثبات والتصارع ضد الفناء الذي كان يريد لهم السلطان الإسباني، لإفناء الأفراد بل قبله فناء وإفناء العقيدة، وإلقاء كل ما يتصل بذلك.

وبقي المسلمون يقاومون ما يزيد على القرن دفاعا عن عقيدتهم متمثلة في وجودهم وكل الأمور المتعلقة بهم، حتى الثمار الفكري والإنتاج الحضاري بمظاهره، لذلك كانت محاكم التفتيش تقود كل هذا ويتم بروح صليبية تأخذ من تبدو عليه أية صلة بالإسلام، أو يضبط متلبسا يؤدي الشعائر أو يترسم عادة من العادات أو يحمل شارة من شارته، حتى الملابس والإغتسال اعتبرت دليلا عليه، فكان من جراء ذلك أن أظهر عدد من المسلمين النصرانية وأبطنوا الإسلام، وأطلق على هؤلاء اسم الموريسكيون (Losmoriscis) أي المسلمون الصغار لذلك ليس من السهولة أن تجد الآن أسرا مسلمة في اسبانيا [3].

اتخذت حرب الإسلام بعد سقوط غرناطة – عدة أشكال-، مرت بمراحل لا سيما حين استتبت الأمور للسلطان القشتالي بعد دخول الملكين الكاثوليكيين غرناطة واستحواذهما عليها وزال ما كانت تخشاه من انتقام المسلمين أو انتفاضهم عليها فأحكم قبضته، بدأ يعد العدة لحرب

[1]- إبن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج7، ص 106.

[2]- أنظر الملحق رقم رقم 04، ص 89.

[3]- عبد الرحمن علي الحجي، الحضارة الإسلامية في الأندلس، دط، د.د.ن، بيروت، 1969م، ص 31.

المسلمين، ونقض الشروط التي لم يعطها إلا إغراء لهم بالاستسلام، ليتجنب مقاومة ترهقه، وتكلفه الكثير [1].

جرى ذلك رغم التأكيدات البابوية والملكية القشتالية و سلطاتها المدنية والكنسية للوفاء بشروط "معاهدة تسليم غرناطة" إذ اتفق على : "أن صاحب رومة يوافق على الالتزام والوفاء بالشرط إذا أمكنوه من حمراء غرناطة والمعاقل والحصون، ويحلف على عادة النصارى في العهود، وتكلم الناس في ذلك، وذكروا أن رؤساء أجناد المسلمين لما خرجوا للكلام في ذلك امتن عليهم النصارى بمال جزيل وذخائر، ثم عقدت بينهم الوثائق على شروط قرئت على أهل غرناطة فانقادوا إليها ووافقوا عليها". [2]

بعد سنوات قليلة بدأ النقض لكل ما جاء في "معاهدة تسليم غرناطة" عن قصد مسبق وتدبير مخطط، تعاونهما في ذلك السلطات الكنسية وكافة المسؤولين، اتخذ هذا الترتيب لحرب المسلم في عقيدته ونفسه –تدرجا–، لم تكن أولى خطواته مستساغة أو خالية من القسوة أو بعيدة عن الأهوال أو منافية للتوحش، وحاشا للنصرانية –كما أنزلها الله– جلت قدرته، على عيسى عليه السلام، أن ترضى بأي شيء من هذا.

بقيت أعداد كبيرة من المسلمين بعد سقوط غرناطة، لم تجز إلى العدوة المغربية، سواء من كان منهم في مملكة غرناطة ، أو المدجنون الذين بقوا في قواعد الأندلس تحت حكم إسبانيا النصرانية قبل سقوط غرناطة حتى أجبرت هذه السلطات المسلمين على التنصر. [3]

فلما رأى الطاغية أن الناس قد تركوا الجواز وعزموا على الاستيطان والمقام في الوطن، أخذ في نقض الشروط التي اشترط عليه المسلمون أول مرة، و لم يزل ينقضها فصلا فصلا إلى أن نقض جميعها، وزالت حرمة المسلمين، وأدركهم الهوان والذلة، واستطال عليهم النصارى، وفرضت

[1]– محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس وتاريخ المنتصرين، دط، د.د.ن، القاهرة، 1966م، ص 254.

[2]– المقري، نفح الطيب، المصدر السابق، ج4، ص 525.

[3]– محمد عبد الله عنان، نهاية الأندلس، مرجع سابق، ص 250.

عليهم المغارم الثقيلة، وقطع عليهم الآذان في الصوامع، وأمرهم بالخروج من غرناطة إلى الأرباض والقرى، فخرجوا أذلة صاغرين و لم يبق من يجهر بكلمة التوحيد والآذان، وجعلت في المساجد والمآذن النواقيس والصلبان، بعد ذكر الله تعالى وتلاوة القرآن، فإن لله وإن إليه راجعون، لا راد لما قضاه الله الملك الديان [1]

فأتبع القتل – غير بعيد- لمن لا يتنصر وذلك لأنهم أكرهوا بالقتل إن لم يقع منهم النطق بما يقتضي في الظاهر الكفر، وفي هذا الصدد يقول صاحب "نبذة العصر" عن سياسة الملك النصراني: "فلما اطمئن في البلد، سرح لهم الجواز وأثارهم بالمراكب إلى الساحل، وصار كل من أراد الجواز ببيع ماله ورباعه ودوره، فكان الواحد منهم يبيع الدار الكبيرة الواسعة المعتبرة بالثمن القليل وأمرهم بالمسير إلى الساحل بمن معهم يدفعهم النصارى في البحر محترمين مكرمين ويجزونهم إلى عدوة المغرب آمنين مطمئنين"[2]، وبحق فإن سقوط مدينة غرناطة واستسلام أميرها للنصارى الإسبان هو إعلان رسمي على ضياع أرض الأندلس من يد العرب المسلمين، بعدما حكموها ثمانية قرون، واقترنت عملية التهجير بأبشع الأفعال وأكثرها همجية في تاريخ الإنسانية. [3]

من خلال هذا يمكن القول أن الظروف الضاغطة القاسية كانت دافعا قويا للأندلسيين الباقين على عقيدتهم وانتمائهم الإسلامي إلى الهجرة الجماعية من وطنهم الأصلي إلى بلاد المغرب الإسلامي. [4]

ولعل مما شجعهم أكثر على النزوح الجماعي من الأندلس وعدم اعتبار ذلك خوفا أو خيانة هو صدور فتاوى تشرع وتؤصل الهجرة الأندلسية، وتعتبرها واجبا وفرضا، وحرمت البقاء في بلاد الأندلس التي صارت بلاد كفر، وقد شدد الونشريسي على قضية تحريم الإقامة بالأندلس التي

[1]- المقري، أزهار الرياض، المصدر السابق، ج1، ص ص 68-69.

[2]- مؤلف مجهول، نبذة العصر، المصدر السابق، ص 43.

[3]- أنظر الملحق رقم 05، ص 90.

[4]- ابن خلدون، العبر، ج7، ص 106.

صارت بلاد كفر، حيث إن هذه الإقامة منافية للشرع جملة وتفصلا، ومجلبة للذل والاحتقار فيقول: "فكيف يتوقف متشرع أو يشك متورع في تحريم هذه الإقامة مع استصحابها لمخالفة جميع هذه القواعد الإسلامية الشريفة الجليلة مع ما ينظم إليها ويقترن بهذه المساكنة المقهورة مما لا ينفك عنها غالبا من التنقيص الدنياوي، وتحمل المذلة والمهانة وهو مع ذلك مخالف لمعهود عزة المسلمين ورفعة أقدارهم وداع إلى احتقار الدين واهتضامه وهو أي ما ينضم إلى ما تقدم أمور أيضا تصطك منها المسامع منها الإذلال والاحتقار والاهانة ". [1]

وقد استساغ الأهالي هذه الفتوى الدينية واطمئنت قلوبهم وساروا في هجرات كبيرة جدا والمؤشر على ذلك أن تعداد سكان غرناطة وتحديدا في سنة 886هـ/1481م كان يعادل أكثر من مليونين، في حين تقدر بعض الوثائق من تبقى في غرناطة بعد تسليمها للنصارى بحوالي ثلاثمائة ألف وهذا معناه أن الهجرة تزايدت بدرجة عالية جدا وذلك في سنة 918هـ/1512م. [2]

وهكذا فإن المهاجرون الأندلسيون انطلقوا في هجرات جماعية كبيرة ما عرف بالتغريبة الأندلسية نحو كل مكان يجدون فيه الأمان على أرواحهم أولا، وممتلكاتهم ثانيا، فاتجهوا إلى بلاد المشرق الإسلامي، واستقروا في مصر وسوريا والأردن والحجاز واتجهوا بأعداد كبيرة جدا نحو المغرب الإسلامي خاصة المغرب الأوسط وجعلوه وطنا بديلا يخفف عنهم فاجعة الفردوس المفقود.

[1] – أحمد بن يحى بن محمد الونشريسي التلمساني، أبو العباس المالكي، أنشأ المتاجر وبيان أحكام من غلب على وطنه النصاري و لم يهاجر وما يترتب عليه من العقوبات والزواجر، تح: حسين مؤنس، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 1986م، ص 26.

[2] – مصطفى شاكر، موسوعة دول العالم الاسلامي ورجالها، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، 1993م، ص 1333.

الفصل الثاني

مواطـــــــــــــــن إستقرار الجالية الأندلسية بالمغرب الأوسط.

1. تلمســـــــــــــــــان ... مقصد الرحيل والوطن البديــــــــــــــل.
2. بجايـــــــــــــــة ... محل البيوتات الأندلسية العريقة.
3. مـــ

ـــدن

أخـــ

ـــــــــــــــــــــــرى.

2- مواطن استقرار الجالية الأندلسية بالمغرب الأوسط:

أدى سقوط الحواضر الإسلامية في الأندلس عبر الاجتياح النصراني إلى هجرة جماعية كبرى إلى بلاد المشرق والمغرب الإسلامي بما يسمى التغريبة الأندلسية، وكانت بلاد المغرب الأوسط ملاذا مستساغا للجالية الأندلسية التي استوطنت مدنه، وعمرت أرضه، وقد لاقى حضورهم في حواضر المغرب الأوسط كل القبول والاهتمام والترحاب فاستوطنوا واطمأنوا.

2-1- تلمسان ... مقصد الرحيل والوطن البديل:

إن هذه المدينة التي يسميها القدامي "تيميسي" ويجعلها بطليموس في الدرجة الثالثة عشر وخمسين دقيقة طولا، والثالثة وثلاثين وعشر دقائق عرضا كبيرا جدا وتسمى تلمسان[1] حيث قال عنها الإدريسي " تلمسان أزلية ولها صور حصين متقن الوثاقة وهي مدينتان في واحدة، يفصل بينهما صورا ولها نهر يأتيها من جبلها المسمى بالصخرتين... وغلاتها ومزارعها وفواكهها جمة وخيراتها شاملة ... ولم يكن في بلاد المغرب بعد مدينة أغمات وفاس أكثر من أهلها أموالا ولا أرفه حالا " [2] تقع على بعد سبعة فراسخ من البحر المتوسط في جهة الجنوب، ويرجع تأسيسها إلى مغراوة من قبيلة الزناتة، لكنها لم تكن إذ ذاك إلا مدينة صغيرة بمثابة قلعة ضد أفارقة الصحاري، ثم اتسعت بعد ذلك بأنقاض أريشكول، وأخذت تشتهر باستمرار بسبب إقامة ملوك تلمسان فيها واتخاذها عاصمة لهم نظرا لموقعها الحسن في سهل جميل[3]، حيث وصفها الجغرافي البكري بقولة:" مدينة مسورة في سفح جبل شجرة الجوز ولها خمسة أبواب، ثلاثة منها في القبلة باب الحمام وباب

---

[1] ــ مارمول كاربخال، المصدر السابق، ج 2،ص 298.

[2] ــ الإدريسي، المغرب العربي من خلال نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص ص 100 – 101.

[3] – نفسه، ص، 101.

وهن، وباب الخوخة، وفي الشرق باب العقبة، وفي الغرب باب أبي قرة".[1] وقد نظمت ساحاتها وأزقتها على نسق جميل جدا ودكاكين صناعها مرتبة على غرار ما هو بفاس، ولكن الدور ليست مبنية بنفس القدر من الجودة ولا النفقات، ويوجد عبر المدينة كلها عدد كبير من المساجد الفخمة ذات الموارد الكبيرة، وهي مجهزة بجميع ما يلزم، علاوة على خمسة مدارس رئيسية مزخرفة من إنشاء بعض ملوك زناتة [2].

وفي القرن السابع هجري أورد يحي بن خلدون في بغية الرواد أن تلمسان هي: " قاعدة المغرب ودار مملكة زناتة، ومحل العلماء والمحدثين والصلحاء".[3] كما توجد بالمدينة عدة حمامات لكنها غير مجهزة بوسائل الراحة مثلما هي حمامات فاس، ولا بنفس القدر من الماء، أضف إلى هذا فنادق عديدة على طراز البلاد، يقيم في أهمها التجار الحاصلون على جواز الاتجار، المدينة مزدانة بعدة سقايات تستمد ماءها من عين واحدة مجلوب من نوميديا عبر قنوات تحت الأرض على مسافة تزيد على ثلاثين فرسخا [4]، وقد ذكر يحي بن خلدون أنها دار ملك للزيانيين وأنها تسمى عند البربر" تلمسن" وهي كلمة مركبة من "تلم" ومعناها تجمع و "سن" وتعني إثنان أي الصحراء والتل [5].

وأما عبد الرحمان بن خلدون فذهب في تعريف مدينة تلمسان وذكر بأنها :" قاعدة المغرب الأوسط وأم بلاد زناتة، اختطها بنو يفرن بمكان في مواطنهم"[6].

كما أشار أيضا العلامة ابن خلدون أن تلمسان كانت قاعدة سياسية مهمة لعدد من الدول الإسلامية خربها المرابطون والموحدون وأعادوا تعمريها حتى أسندوا تسييرها إلى عبد الواد[7]،

---

[1] ـ البكري، المغرب، المصدر السابق، ص 76.

[2] ـ مارمول كاربخال، المصدر السابق،ج2، ص 298.

[3] ـ يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 91.

[4] ـ مارمول كاربخال، المصدر السابق، ص 299.

[5] ـ يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج1،ص 85.

[6] ـعبد الرحمن بن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج7 ، ص102.

[7] ـ نفسه ، ص102-103.

فاتخذوها دارا لملكهم وكرسيا لسلطانهم، فاختطوا بها القصور المأنقة والمنازل الحافلة، واغترسوا الرياض والبساتين وأجروا خلالها المياه، فأصبحت أعظم أمصار المغرب، ورحل إليها الناس من القاصية ونعقت بها أسواق العلوم والصنائع فنشأ بها العلماء واشتهر فيها الإعلام وضاهت أمصار الدول الإسلامية والقواعد الخلافية.[1]

وعليه فإنها صارت مركز جذب للعلماء والشخصيات الكبيرة، والبيوتات العريقة من مختلف بقاع المغرب الإسلامي، وبالأخص من بلاد الأندلس.

أما الزهري (ت 6 ه) فيذكر أن :" تلمسان مدينة عظيمة فيها عيون كثيرة ومياه غزيرة، وهي كثيرة الزرع، ولها أعمال عديدة، ودار مملكة يعمل فيها من كل شيء بديع"[2].

أما عن طقسها فهي كثيرة البرد والثلج في زمن الشتاء، ومدينة تلمسان مدينة علم وخير، و لم تزل دار العلماء والمحدثين [3].

أما المؤرخ الجغرافي المتأخر حسن الوزان (ت 944ه)فيذكر " أن تلمسان حكمها أمير ذو شأن كبير يسمى إيغمراسن بن زيان وورثه عند أحفاده ولها ميناءان مشهوران جدا وهما وهران والمرسى الكبير يتوافدون عليهما تجار من جنوة والبندقية، وأما عن أرضها فهي أماكن زاهرة والبقعة خصبة ".[4]

---

[1]_ نفسه، ص 105.

[2]- أبي عبد الله محمد بن أبي بكر الزهري، كتاب الجغرافية، تح: محمد الحاج صادق، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، د.ت.ط، ص 114.

[3]- مؤلف مجهول، كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، نشر وتعليق: سعد زغلول عبد الحميد، ط1،دار الشؤون العامة، العراق، د ت ط، ص 188.

[4]- الحسن بن محمد الوزان الفاسي، وصف إفريقيا، تر: عبد الرحمان حميدة، مراجعة علي عبد الواحد، ط1، د،ب،ط ، المملكة العربية السعودية، د،ت،ط، ص 7-10.

وخلاصة القول أن تلمسان عامرة آهلة بالسكان، وموقعها المهم جعل منها محط أنظار الجالية الأندلسية خاصة أصحاب الصنائع والحرف ممن غادروا أو هجر بأهله وماله، من الأندلس ففتح أهل تلمسان لهم الأبواب وخففوا عنهم المصاب.

ب- لمحة تاريخية:

تعتبر حاضرة تلمسان من أعظم مدن المغرب الأوسط وقد مرت بمراحل تاريخية كثيرة كغيرها من باقي مدن العالم.

كما شهدت حركة ثقافية وحتى عمرانية عظيمة، وأول من بناها الرومان وكانت تسمى"بوماريا" [1]، وكذلك تدعى تلمسان "مدينة الجدار " أو " لجدار" فقط بمعنى الحائط، ويعنون بذلك أنها مسورة أي محاطة بالأسوار مما يدل على قدمها لقلة المدن المسورة في العهد القديم خصوصا بالمغرب الاسلامي، والجدار هو الذي ذكر في القرآن الكريم في سورة الكهف قال تعالى:" فانطلقا حتى إذا آتيا أهل قرية استطعما أهلها فأبوا أن يضيفوهما فوجدا فيها جدارًا يريد أن ينقض فأقامه، قال لو شئت لاتخذت عليه أجرا.[2]

في قصة الخضر وموسى عليهما السلام، ويذكر أيضا ابن خلدون ان تلمسان هي :" قاعدة المغرب الأوسط وأم بلاد زناتة اختطها بنو يفرن وما يزعم بعض العامة من ساكنيها أنها أزلية البناء".[3]

وقد مرت تلمسان في العهد الزياني بأطوار تاريخية هامة ففي الطور الأول كانت ضعيفة وذلك لأن:

[1] ـ جورج مارسى، مدن الفن الشهيرة تلمسان، تر: سعيد دحماني، ط1، دار التل، البليدة، الجزائر، 2004م، ص8.

[2] ـ سورة الكهف، الآية 77.

[3] ـ عبد الرحمان بن خلدون، العبر، ج7، ص102.

موقعها الجغرافي كان وسط بين دولتين هنا الحفصية والمرينية، فكان حالها كالمحصور بين شقتي الرحى وقلة الأنصار في بداية عهدها [1]، ودام الطور الأول مائة و أربع سنوات أي من (633 ه- 1235) إلى (737ه-1336) من تاريخ قيام الدولة إلى سنة سقوط تلمسان في قبضة الحسن المريني وقتله للسلطان العبد وادي ابن تاشفين عبد الرحمان بن أبي حمو موسى الأول[2]

والطور الثاني كانت الفترة الزمنية قصيرة جدا ودامت أربعة سنوات أي من سنة (749ه-753ه) ولكنها فترة جديرة بها، ولأنه يختلف عن الطور الأول في كونه بدأ بعد فترة جديدة بها وبدأ بعد فترة زمنية دامت تسع سنوات انمحت خلالها دولة بني زيان، وأيضا تمتاز هذه الفترة بالاستقلال التام عن نفوذ الدولتين الحفصية والمرينية.[3]

أما الطور الثالث فهو طور الأبهة والسلطان المطلق ويعتبر بمثابة الذروة من حيث النظم والسيادة المطلقة ولقد بذل الحاكم أبي حمو الثاني خلال هذا الطور جهدا كبيرًا كي يجعل من دولته منارة للعلم والفن والأدب في المغرب الإسلامي، وبهذا كانت حياته حافلة بالحروب، وقد قتل في معركة بينه وبين بني مرين وحليفهم أبي تاشفين بن عبد الرحمن ابنه العاق[4].

أما الطور الرابع وهو طور الإنحدار والسقوط ودام 171 سنة أي من سنة (791ه-962ه) وظهر العنف من خلال السياسة الفاسدة وضعفهم والإنشقاقات العائلية التي كانت العدو الأكبر لدولة بني عبد الواد.[5]

حاضرة تلمسان ملجأ الجاليات الأندلسية:

[1] ـ بوزياني الدراجي، نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1993م، ص26.

[2] ـ محمد الطمار، المرجع السابق، ص 11.

[3] ـ محمد الطمار، المرجع السابق، ص 34.

[4] ـ عبد الحميد حاجيات، أبو موسى حمو الزياني حياته وآثاره، ط2، ش.و.ن.ت، الجزائر، 1982، ص159.

[5] ـ ابن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تقديم: صافي سلامة، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 2001م، ص70.

لقد شكلت حواضر المغرب الإسلامي عموما والاوسط خصوصا بديلا للمهاجرين وملجأهم، فهو بمنزلة الجسر الرئيسي الذي تعبر عليه التيارات الفكرية المختلفة في فروعها والموجودة في أصولها، ولعل اسمه يدل على مكانته فهو **الوسط** ولا يمكن لأي تيار يمر من المشرق إلى المغرب أو العكس دون أن يترك صداه بالوسط.[1]

من ذلك تقاطرهم على الحاضرة الزيانية تلمسان، فهي من أوائل من احتوى هذه الهجرات، خاصة وأنها شهدت نهضة علمية وعمرانية وسياسية ملحوظة منذ القرن الخامس لموقعها المتميز كونه حلقة وصل أخرى بين إفريقية والمغرب الأقصى من جهة ثانية، مما انعكس إيجابا على حياة المجتمع برفاهية، وعلى المدينة باتساعها، والملك باستحكام الأبهة والترف فيه، مما ولد حركية وديناميكية متميزة داخليا وخارجيا، وكان الأندلسيون أكثر المترددين على تلمسان للتجارة وطلب العلم والتعبد، فاستقروا في المدينة وأرجائها لما لاقوه من تشجيع ولاة الموحدين ومن بعدهم ملوك بني عبد الواد لهم على ذلك الاستفادة من كفاءات وخبرات هؤلاء الأندلسيين [2] فاشتهر من حكامهم "السلطان يغمراسن بن زيان (633-681هـــــ) (1235-1282م)،" الذي اهتم بنشر الثقافة العلمية والأدبية، وكانت فترة حكمه التي دامت سبعا وأربعيـــــــن سنة من أحفل عصور تاريخ المغرب الأوسط.

من بين الأندلسيين الذين توافدوا على تلمسان، القلصادي ومن الذين استقروا بتلمسان أبو عبد الله محمد بن الأزرق (896هـــ - 1490م) صاحب كتاب بدائع السلك في طباع الملك قبل سقوط مالقة (833ه-1429م)، يقول المقري عن هؤلاء الأندلسيين: " تقلص الإسلام بالجزيرة

[1] ـ نصيرة عزرودي، هجرة الأندلسيين السياسية إلى المغرب الأوسط بين الانسجام والاصطدام، مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، العدد 4، ديسمبر 2001م، ص43.

[2] ـ نصيرة عزرودي، المرجع السابق، ص 44.

واستولى الكفار على أمصارها وقراها على وجه العنوة والصلح، والاستيلاء، لم يزل العلماء والكتاب والوزراء يحركون حميات ذوي البصائر".[1]

فالشيء الذي يمكن استخلاصه من النص يتمثل فيما يلي:

أن الدولة الأراغونية والقشتالية استطاعت خلال النصف الأول من القرن التاسع هجري الموافق للخامس عشر ميلادي، أن تسيطر على أغلب أراضي الدولة الناصرية، بعد ضعف هذه الدولة نتيجة للخلافات الأسرية، وضعف دول المغرب الإسلامي، وعدم تقديم يد المساعدة للناصريين، سهل حركة الاسترداد المسيحي.[2]

إن رجال الفكر والموظفين الساميين، وهذا منذ عهد ابن الخطيب أدركوا خطورة الاسترداد، والنتائج التي يمكن أن تصل إليها و المتمثلة في نهاية الدولة الإسلامية بالأندلس بذلك استمروا بتجنيدهم للمسلمين، لكن صيحاتهم لم تجد آذانا صاغية لدى الأندلسيين، مما أدى ببعضهم إلى ترك الأندلس والاستقرار بدول المغرب الإسلامي، ومن هؤلاء العلماء الذين اتجهوا إلى تلمسان أبو جعفر أحمد بن علي البلوي، توجه إلى تلمسان لأنها كانت من بين مراكز الثقافة، تعرض المقري إلى هذه الهجرة، فذكر البلوي وقال عنه: " إنه من بين علماء الأندلس الذين تركوا غرناطة ونزلوا بتلمسان ومن بين هؤلاء المذكورين في فهرسة ابن الغازي، هؤلاء خرجوا من الأندلس قبل أخذ غرناطة، لكن لما رأوا تضييق العدو عليها، وأن أخذها لا محالة، فولوا رجالهم عنها فنزلوا تلمسان المحروسة، وأخذت الحضرة الغرناطية بعد ارتحالهم بقليل".[3]

2-2- بجاية ... محل البيوتات الأندلسية العريقة:

- **بجاية بين الجغرافيا والتاريخ:**

[1] _ مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية، الأحوال السياسية، د.ط، ج1، منشورات الحضارة، الجزائر، 2009م، ص 231.
[2] _ نفسه، ص 231.
[3] _ مختار حساني: تاريخ الدولة الزيانية، الأحوال السياسية،ج1، ص 232.

أ- جغرافيا:

بجاية بكسر الباء وفتح الجيم والألف ثم ياء مثناه تحت وهاء في الأخر مدينة من مدن المغرب الأوسط.[1]

تنقسم بجاية إلى قسمين: القسم الأول، على شكل مدرج فوق المنحدرات السفلية بجبل قوراية الذي يرتفع على سطح البحر بنحو 600 متر، والقسم الثاني بجاية الحديثة التي تمتد نحو وادي الصومام الذي يعتبر نقطة وصل وفصل معًا، أما الوصل فيتمثل في الربط بين المدينة وجبال جرجرة، والفصل في أنه حائل مائي بين سكان هذه المناطق، كما أنها تقع بين مدينتين هما الجزائر وقسنطينة، وتطل على خليج تحميه من الرياح والعواصف كتل عالية من الصخور،[2] وكان أول من إختطها الناصر بن علناس بن حماد بن زيري بن مناد بن بلكين بينهما وجزيرة بني مزغنان أربعة أيام [3]، وفي أواخر القرن الخامس هجري نجد البكري يقول: " بجاية أزلية (قديمة) آهله عامرة بأهل الأندلس شرقيها نهر كبير تدخله السفن محملة وهو مرسى مأمون..." [4] فيذكر الجغرافيين أن بجاية عتيقة تقع في منحدر جبلي شاهق على ساحل البحر المتوسط [5]، وفي منتصف القرن السادس نجد الشريف الادريسي يقول عنها:" ومدينة بجاية قطب لكثير من البلاد، وقد عمرت بخراب القلعة التي بناها حماد بن بلكين، ومدينة بجاية في وقتنا (547هـــــ) هذا مدينة المغرب الأوسط وعين بلاد بني حماد والسفن إليها مقلعة بها القوافل منحطة والأمتعة إليها برًا وبحرًا، والسلع إليها مجلوبة، والبضائع بها نافقة، وأهلها مياسير تجار"[6].

---

[1] ـ أبي العباس أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، د.ط، ج5، المؤسسة المصرية العامة، مصر، د.ت.ط، ص 109.

[2] ـ عبد الحميد عويس، دولة بني حماد، صفحة رائعة من التاريخ الجزائري،ط 2،دار الصحوة، القاهرة، 1991م،ص102.

[3] ـ شهاب الدين أبو عبد الله الرومي ياقوت الحموي، معجم البلدان،ط1، مح1، ج1، دار صادر، بيروت، 1977، ص7.

[4] ـ البكري، المغرب، المصدر السابق، ص86.

[5] ـ حسن الوزان، وصف إفريقيا، ص5.

[6] ـ الإدريسي، المغرب العربي من خلال نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ص ص 116-11.

يذكر أبي الفدا في كتابه تقويم البلدان" أن بجاية هي قاعدة المغرب الأوسط ولها نهر شاطئه البساتين وأنهاره في شرقي بجاية ويقابل بجاية من الأندلس طرطوشة، وغربها جزائر بني مزغنة، وفي آخر حد مملكة بجاية وشرقي قسنطينة ومرسى الخرز المخصوص بالمرجان وأمام هذا المرسى جزيرة سردانية"[1].

ويقول الإدريسي فيها أيضا:" وبها من الصناعات والصناع ما ليس بكثير من البلاد، وأهلها يجالسون تجار المغرب الأقصى وتجار الصحراء، وتجار المشرق بها تحل المشدود وتباع البضائع بالأموال المقنطرة ولها بواد ومزارع، والحنطة والشعير بها موجودان كثيرًا والتين، وكثير من سائر الفواكه بها ما يكفي لكثير من البلاد، بها دار صناعة لإنشاء الأساطيل والمراكب والسفن ...." [2]

ولم تزل بجاية في اتساع عمارة ورقي حضارة، تنعم بالرخاء الاقتصادي والتجاري، يقصدها الناس برًا وبحرًا، ففي القرن الثاني عشر ميلادي تفوقت بجاية على الجزائر، وأصبحت القاعدة الرئيسية للتجارة الحمادية الأندلسية.[3]

أما العبدري في كتابه الرحلة المغربية فيذكر أن :" بجاية هي مدينة كبيرة حصينة منيعة شهيرة برية وبحرية وثيقة البنيان عجيبة الإتقان رفيعة المباني، غريبة المعاني موضوعة في أسفل جبل وعر مقطوعة بنهر وبحر مشرفة عليها إشراف الطليعة متحصنة بهما منيعة فلا مطمع فيها لمحارب ولا متسع فيها لطاعن وضارب" [4].

وبجاية معلقة من جبل قد دخل في البحر يضرب فيه وهي مدينة كثيرة الفواكه والخيرات وهي مشرفة نزهة مطلة على البحر، ولها نهر عظيم قد وضعت نواعر وله منتزه عظيم، وفي بجاية

---

[1]_ عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر أبي الفدا، تقويم البلدان، تصحيح: رينود وماك كوكين، ط1، دار الطباعة السلطانية: باريس، 1830، ص 139.

[2]_ الإدريسي، المصدر السابق، ص 117.

[3]_ رشيد بورويبة، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1977، ص ص150-151.

[4]_ محمد العبدري البلسني، الرحلة المغربية، تقديم: سعد بوفلاقة، ط1، منشورات بونة للبحوث والدراسات، الجزائر، 2007م،ص 49.

موضع يعرف باللؤلؤة وهو أنف من الجبل قد خرج في البحر متصل بالمدينة فيه قصور من بناء ملوك صنهاجة غاية في الحسن فيها طاقات مشرفة على البحر عليها شبابيك الحديد والأبواب المخرمة، المحلات والمجالس المقرصنة المبنية حيطانها بالرخام الأبيض قد نقشت بالذهب و الأزورد وهذا الجبل أمسيول هو كثير البساتين، وكثير القردة وفيه الحيوان المشوك المسمى بالذرب [1].

أما عن أهل بجاية، فإن فيها جوامع كافية، ومدارس يكثر فيها الطلبة وأساتذة الفقه والعلوم بالإضافة إلى الزوايا المتصوفة وحمامات وفنادق ومارستان وكلها صروح مشيدة حسنة البناء، وأسواقها كذلك جميلة منسقة أحسن تنسيق [2]، ولها جامع عجيب منفرد في حسنه غريب من الجوامع المشهورة الموصفة المذكورة، وهو مشرف على برها وبحرها وموضوع بين سحرها ونحرها، فهو غاية في الفرجة والأنس، ينشرح الصدر لرؤيته وترتاح النفس، وأهلها يواضبون على الصلاة فيه، مواظبة رعاية هذا البلد بغية قواعد الإسلام ومحل تجلة العلماء والأعلام، وله مع حسن المنظر طيب المخبر.[3]

ب- لمحة تاريخية عن مدينة بجايـــــــــــــــــــــــــــة:

بجاية اسم في تاريخ المغرب الإسلامي بشكل عام وفي حضارة المغرب الأوسط بشكل خاص إذ تعد ثاني عاصمة لدولة بني حماد، أما عاصمتهم الأولى فقد كانت مدينة القلعة المشهورة بقلعة بني حماد التي ارتبط بها اسمها باسم مؤسسها حماد بن بلكين الذي استطاع بعد المكاسب التي حققها كرجل حرب بتكليف من أبن أخيه باديس بن المنصور الذي سمح عمه حمادًا لحرب القبائل المعارضة وخرج على إثره ودوخ المغرب وأثخن في زناتة واختط مدينة القلعة سنة (398هـــ-1007مـــــ) [4].

[1] ـ الحميري، المصدر السابق، ص81.
[2] ـ الوزان، المصدر السابق، ص50.
[3] ـ العبدري، المصدر السابق، ص49.
[4] ـابن خلدون، العبر، ج6، ص 210.

واستمرت حاله إلى أن نهض باديس بأمره، وفي سنة (405هـــ)كتب إليه باديس يأمره برفع يديه على ما ملكه، فامتنع حماد وساء ما بينهما إلى قيام حروب وأهوال عظيمة [1]، خلفهم فيها أبنائهم، فانقسم بذلك الملك الصنهاجي إلى دولتين: الدولة الزيرية أصحاب القيروان، ودولة حماد بن بلكين أصحاب القلعة.

أما عن بجاية العاصمة الثانية للحماديين، فيرتبط ظهورها إلى أحداث تاريخية هامة توجت بظهورها على مسرح لأحداث فيرجع بناء مدينة بجاية إلى ذلك العداء التاريخي القائم بين الدولتين الصنهاجيتين الزيرية والحمادية والذي تمثل في هذه الفترة في عهد الناصر بن علناس صاحب القلعة وتميم بن المعز صاحب المهدية [2] حسب رواية ابن الأثير، فالتقى الفريقان سنة 467هـــ في موقعة سبيبة [3]، فاهم الناصر وقتل من أصحابه خلق كثير، ونهبت أمواله ومضاربه وقتل أخوه، وتسليم الناصر في تفر يسبر، وغنمت العرب جميع ما كان في المعسكر من مال وسلاح ودواب [4]

إن موضع مدينة بجاية، كان موقعا لمدينة أسسها الفينيقيون تعرف باسم صلدة، ثم انتقلت إلى الرومانيين وعرفت باسم صلداي [5]، أما البكري فيصفها على أنها مرسى سماه مرسى بجاية.

و لم يذع صيتها في العهد الإسلامي إلا بعدما اختطها الناصر سنة (460هـــ)، وكان له قبيل من البربر يسمون بهذا الاسم إلا أن الكاف فيهم بلغتهم ليس كافا، بل هي بين الجيم والكاف، وعلى هذا القبيل من صنهاجة يأتون لهذا العهد أوزاعا من البربر، فلما افتتح هذا الجيل

[1] ـ لسان الدين ابن الخطيب، أعمال الأعلام، القسم الثالث، المصدر السابق، ص ص 71-72.

[2] ـ المهدية: اختطها أبو عبد الله المهدي وإليها نسب، وهي جزيرة متصلة بالبحر كهيئة كف متصلة بزند، سنة 303هـ (ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج5، ص ص 230-231.

[3] ـ سبيبة: ناحية من أعمال إفريقية، ثم من أعمال القيروان (ياقوت الحموي، المصدر السابق، ج5، ص 186.

[4] ـ مؤلف مجهول، الإستبصار، ص129.

[5] ـ عبد الحميد عويس، دولة بني حماد، ط2، دار الصحوة للنشر والتوزيع، القاهرة، 1991م،ص69.

اختط به المدينة وسماها الناصرية، إلا أنها عرفت باسم القبيلة البربرية التي تقطنها وهي " بجايـــــة".[1]

ضلت بجاية مدينة عامرة وزاهرة إلى آخر حكامها " يحي بن العزيز" ففي سنة (547هـــــ/1152م)، قوضت دولة الموحدين بقيادة أميرها عبد المؤمن دولة بن حماد بجاية، وضيق عليها أشد التضييق، فلما رأى يحي بن عبد العزيز أن لا طاقة له بالدفاع عنها، فأرسل اليه عبد المؤمن الجيوش، ودخل عبد المؤمن بجاية وملكها وملك قلعة بني حماد، وأقام فيها مدة شهرين هدمها وفتح أقطارها.[2]

ضلت بجاية وحتى سقوط الدولة الحمادية تلعب دورًا هامًا وفعالاً جعلها مركز اهتمام كالحفصية والمرينية والزيانية.

بجايـــــــــــة مقصد الجالية الأندلسية:

كانت مقصد الأندلسيين بعد تعرضهم لاجتياح النصارى إثر هزيمة الموحدين في معركة العقاب (609هـــــ/ 1212م)، وانحصار الحكم الإسلامي بالأندلس بفعل حركة الاسترداد (Reconquista) التي تزعمها ملوك قشتالة والأراغون وقد ساعد على توجه الأندلسيين نحو بجاية عوامل عدة منها موقعها المتميز بالحصانة الطبيعية وبخصب التربة واعتدال المناخ، فهي أشبه ببلاد الأندلس فضلاً عن كونها كانت على اتصال دائم بسواحل الأندلس فهي مقصد السفن الآتية من مرافئ طرطوشة وبلنسية والمرجة وقرطاجة، والمحصلة الأولى للأندلسيين في التحول إلى بجاية هو كونها مركزًا حضاريا راقيا، وقاعدة سلطة مركزية على عهد الحماديين والموحديين والحفصيين.

[1] ـعبد المؤمن بن علي بن مروان بن عامر بن الأمير موسى بن مادغيس بن بربن عيلان بن عدنان ولد سنة 478هـــ في أسرة فقيرة في قرية تاجرا نواحي ندرومة، طلب العلم في بلدته ثم رحل إلى ملالة أين التقى بابن تومرت، وهو الذي خلف المهدي بن تومرت، وأسس بذلك الدولة الموحدية، توفي سنة 558هـــ ، بعد أن قام بتوحيد المغرب الإسلامي (ابن خلكان، وفيات الأعيان في أنباء الزمان، تح: إحسان عباس، د ط، ج3، دار صادر، بيروت، لبنان، د.ت.ط، ص 237.

[2] ـ عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص 272.

ومما عمل على تماسك جماعة الأندلس ببجاية وزاد من نفوذها هو التفافها حول بعض الشخصيات العلمية المرموقة التي كان لها تفوق علمي ومكانة أدبية وحظوة لدى الحكام، عرفت بمشيخة الأندلس والتي كانت الرئاسة فيها إلى أقدر العلماء وأكثرهم نفوذًا وثروة مثل أبي بكر المعروف بإبن محرز البلنسي (ت 685هـ)، وأبي الحسن علي بن محمد الأنصاري المعروف بإبن السراج الاشبيلي (ت657هـــ)، وأبي عبد الله محمد الكناني الشاملي (ت 699هـــ) وأبي عبد الله الجنان (ت 650هـــ) [1]،وأبي بكر بن سيد الناس (ت 659هـــ). الذين كان يجتمع إليهم علماء الأندلس للمذاكرة والمناقشة والمصارحة وتبادل الرأي والمشورة، فقد كانت دار ابن سيد الناس مثلا مكانا يتلقى منه أشهر علماء الأندلس الذين حلوا ببجاية مثل الأديب أبي المطوف بن عميرة والمؤرخ الكاتب أبي عبد الله بن الآبار وابن محرز، وأبي الحسن بن أبي نصر، وأبي القاسم الولي، وأبي عثمان بن حكم، وأبي عبد الله الجنان وأبي عثمان زاهد وأبي محمد بن برطلة وابن قطول، وابن الحسين بن فتوح [2] ، ومما لا شك فيه أن بجاية كانت حاضرة علمية تنافس حاضرة مراكش فقد وفد عليها كثير من الأندلسيين.

فبجاية استهوت ألباب عدد غير قليل من مشاهير العلماء ومدرسي العلوم، وأهل الفتوى والقضاء التونسيين والليبيين والأندلسيين، وغيرهم، ومنهم الصوفي الكبير أبو مدين شعيب التلمساني، الذي استقر ببجاية في منتصف القرن الخامس هجري، وأقام بها مدة طويلة إلا أن انتقل منها إلى تلمسان (591هـــ) وتوفي بها، [3] وكذلك عبد الحق الاشبيلي " المحدث الكبير الذي نزل بجاية، ونشر بها علمه، وكان صديقًا لأبي مدين و أبي علي المسيلي [4].

[1] ـ ناصر الدين سعيدوني، صور من الهجرة الأندلسية إلى الجزائر، المجلة العربية للثقافة، السنة الرابعة عشر، العدد 27، عدد خاص بالتاريخ العربي في الأندلس المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 1994م، ص 225.

[2] ـ نفسه، ص225.

[3] ـ المراكشي، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، ص 144.

[4] ـ الغبريني، عنوان الدراية، ص 38.

يقول أبو علي المسيلي :" أدركت بجاية ما ينيف عن تسعين مفتيا ... فما ظنك بالأدباء والنحاة والمحدثين وغيرهم"[1]

وقد ازدادت حدة الهجرات في القرن السابع هجري نحو المغرب الأقصى والأوسط وإفريقية، لاسيما بعد انهزام الموحدين في معركة حصن العقاب (609هـــــ/ 1212م) واستقر عدد كبير منهم ببجاية [2]، وترسخت الروح الأندلسية لهذه المدينة الواقعة في شمال شرق المغرب الأوسط مبكرًا خلال العهد الحفصي حيث بقيت العادات والتقاليد الأندلسية وأنظمة التعليم وأساليب الحكم التي كانت سائدة في شبه الجزيرة الإيبيرية حينذاك، بالإضافة إلى إزدياد انتشار اللغة العربية، فقد أقبل البجائيون أكثر على هذه اللغة في تخاطبهم اليومي أكثر من ذي قبل وبلهجة أندلسية التي يصفها ناصر الدين سعيدوني بـــــ " الرقيقة المخارج واللّطيفة العبارات والغنية بالمفردات"، وتبنوا رقتهم ولطف سلوكهم وحتى ميلهم القوي لاستماع الموسيقى وممارستها.[3]

وبهذا نستطيع القول أنه من عوامل هجرة الأندلسيين نحو بجاية موقعها المتميز، فضلا عن مكانتها السياسية والاقتصادية التي تتمتع بها، بالإضافة إلى توسع عمرانها، كما أنها كانت من أهم قواعد المغرب الإسلامي في العهد الموحدي، فقد حافظت على مكانتها التي اكتسبتها في العهد الحمادي، واستمر نفوذها وتفوقها إلى غاية العهد الحفصي الأول، حيث كانت في الدرجة الثانية بعد مدينة تونـــــــــــــس.[4]

3- مدن أخرى:

3-1- ندرومة:

مدينة قديمة أسسها الرومان في سهل فسيح على يد فرسخين ونصف فرسخ من جبل الأطلس، وأربعة فراسخ من البحر، موقعها شبيه بموقع رومه، ومنها اتخذت اسمها، يقول بطليموس

---

[1] _ نفسه، ص 38.

[2] _ نفسه، ص ص 38-39.

[3] _ ناصر الدين سعيدوني، صورة من الهجرة الأندلسية إلى الجزائر، ص 233.

[4] _ ناصر الدين سعيدوني، التجربة الأندلسية بالجزائر، مدرسة بجاية الأندلسية ومكانتها في الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط، ندوة الأندلس ، قرون من التقلبات والعطاءات، ط1، مطبوعات الملك عبد العزيز، الرياض، 1996، ص ص 81-83.

الجديد إنها سليمة القديمة ويجعلها في الدرجة الثانية عشر وعشر دقائق طولا، والثالثة والثلاثين وعشرين دقيقة عرضا، ومازالت أسوار ندرومة قائمة، وهي مبنية بالطوب الغليظ الموثق بالجير على نمط الرومان، وقد خربت الدور أثناء الحروب، التي دارت بين ملوك تلمسان وملوك تونس وفاس، وما بقي منها الآن مبني عل الشكل المحلي، ومازالت تشاهد خارج الأسوار آثار مباني واسعة للرومان، فيها لوحات كبيرة، وأعمدة من المرمر مع أضرحة من الحجر نقشت عليها كتابات لاتينية وفي الجبال المجاورة أشجار تدعى الخروب، ثمارها حلوة لدرجة أن السكان يصنعون منها عسلا، يأكلونه طوال السنة مع اللحوم، ومن المؤلم أن تشاهد مدينة بهذا القدر من الجمال واقعة في أجمل مكان بإفريقيا، وفي بلد في غاية الروعة، وهي في حالة من التخريب بحيث يخيل لمن دخل إليها أنها فناء للدواجن، لشدة رداءة مساكنها. [1]

يحصد السكان كمية من القمح والشعير، ويملكون عددا كبيرا من القطعان، ويصنعون أجمل ما في بلاد البربر كلها من أقمشة القطن، جلهم تجار يتجرون في الجزائر وتلمسان، ويقدمون بعض الهدايا إلى الملك من أجل حرية هذه التجارة، وإن كانوا يستطيعون أن يتخلوا عنها لأنهم يصادون زناتة الجبل الذين هم أشجع الناس جميعا في إفريقيا، ويكونون خمسة وعشرون ألف محارب مجهزين أحسن تجهيز، ويملك جلهم بنادق قديمة. [2]

بعض الأندلسيين استقروا بها خاصة بعد سقوط هنين بيد الإسبان سنة 1531م. [3]

3-2- هنيـــــــــــــــن:

يضاف إلى مدينة ندرومة هنين التي تقع على الساحل البحري المتوسط ولها علاقة بساحل البحر المتوسط ولها علاقة بالأندلس منذ القرن الثاني هجري، الثامن ميلادي. [4]

وهي مدينة واقعة على الشاطئ في مستوى المرية، شرقي المدينة السابقة أسسها الأفارقة القدامى، وكان لها أسوار متينة وميناء صغير محصن من كلا الجانبين ببرجين قويين، كانت المساجد فيها حسنة البناء، والدور آهلة بالتجار والصناع، إذ كانت سفن البندقية تنحدر إليها كل سنة عند

[1] ـ مارمول كاربخال، المصدر السابق، ص 295.

[2] ـ نفسه، ص 296.

[3] ـ مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية، الأحوال السياسية، ج1 ص 236.

[4] ـ مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية، الأحوال السياسية، ج1 ، ص 236.

ذهابها إلى تلمسان خاصة منذ أن احتل الكاردينال خيمينيس وهران والمرسى الكبير، فكان تجار تلمسان يذهبون إليها ليتعاملوا مع تجار البندقية، فكانت لذلك آهله بالسكان، تصنع فيها أقمشة جميلة وأنسجة أخرى من القطن، وفضلا عن ذلك هناك بقع مختلفة من شجر الزيتون، وحدائق وأراضي صالحة للحرث، سواء حوالي المدينة أو على طول نهر بجانبها، وبالرغم على أنها بدأت تخلوا من السكان عند احتلال وهران [1] فإن ملك تلمسان أرسل إليها حامية لتأمين التجارة، وكانت تصبح في حالة حسنة جدا لو لا أن طمع السكان تسبب في تلفها لأنهم لم يكتفوا بتجارتهم، بل آووا القراصنة وخرجوا معهم لشن الغارات على شواطئ اسبانيا، فاضطر شارل الخامس إلى أن يبعث إليها ذم الفاري سبان قائد أسطوله الذي أخذها وأقام بها حامية بعد أن نهبها، لكن الإمبراطور أمر بتدميرها لتلافي النفقات، وذهب إليها قائد الأسطول نفسه لتحطيم الأسوار والبروج وحرق الديار وتخريبها، فلم يعد ترميمها منذئذ.

يحرث الأرض من جبل مجاور مزالت توجد فيه معادن كثيرة للحديد والفولاذ، يسمي بطليموس رأس الجبل هذا "الرأس الكبير" ويجعله في الدرجة الحادية عشر وثلاثين دقيقة طولا، والخامسة والثلاثين عرضا، ويسمى الآن رأس هنين. [2]

فكان انتقال التلمسانيين إلى الأندلس، أو توجه الأندلسيون إلى تلمسان عن طريق ميناء هنين، ونتوصل إل ذلك من خلال كتب التراجم التي أرّخت للأندلسيين، وكما لعبت هذه المدينة دورا لا يستهان به في العلاقة التجارية في الأندلس، وأراضي الدولة الزيانية. [3]

ويبدو أنه خلال هذه المدة قصدها مجموعة من المهاجرين الأندلسيين اتخذوا منها قاعدة للجهاد البحري ضد السواحل الاسبانية وهو ما يؤكد مرمول بقوله: "أن سكانها لم يكتفوا

[1] ـ مارمول كاربخال، إفريقيا، ص 296.

[2] ـ نفسه، ص 297.

[3] ـ مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية، الأحوال السياسية، ج1، ص 237.

بتجارتهم بل مارسوا القرصنة وخرجوا لشن الغارات على شواطئ إسبانيا" ويعتقد مرمول أن ذلك كان من بين العوامل التي دفعت بشارل الخامس إلى الهجوم عليها من قبل قائد أسطوله واختلالها.[1]

3-3- إقليم بني راشد:

إقليم وإمارة خاصة تمتد طولا على مسافة سبعة عشر فرسخا وعرضا على تسعة فراسخ، وطرفها الجنوبي سهل وشمالها تلال يصلح بها الزرع وتجود المراعي، سكانها بربر من قبيلة مقاطع من سلالة بني راشد، وهم على فرقتين، أهل الجبال ويسكنون القرى، ويشغلون بزراعة الحقول والكروم أما غيرهم فيجوبون الآفاق كما يفعل الأعراب، وهؤلاء أعظم غنا وشهرة، وأكثر جيلا وجمالا، وفي هذا الإقليم ثلاثة مدن رئيسية وهي بنو راشد والتي تسمت باسمها الإمارة، وهي عاصمتها، ويزيد سكانها على الألف وهي أقدم المدن الثلاث، يسكنها عدد من أشراف الناس وأثريائهم وإن كانت غير محصنة بسور، وهي عند بطليموس تسمى فيلبورك، وقد جعلها على إثنتي عشر درجة وأربعين دقيقة طولا وعلى اثنتين وثلاثين درجة عرضا، أما المدينة الثانية فهي القلعة، وهي أكثر امتناعا من سابقتها، بنيت على سفح تل بين جبلين عاليين، تحيط بها أسوار ذات أبراج على هيئة القلاع الحصينة يسكنها تجار وصناع مياسير فهي التي استولى عليها مارتين دراكوط لما زحف ضد أبي حمو، وهنالك قتل العرب هذا القائد الكورسيكي الذي استسلم لهم، كانت تسمى إِلْطَاو في القديم، جعل بطليموس موقعها على اثنتي عشرة درجة وثلاثين دقيقة طولا وعلى إحدى وثلاثين درجة وعشر دقائق عرضا [2] ، أما المدينة الثالثة فتدعى معسكر، وهي عبارة عن قرية كبرى بها قلعة بدأ بنائها المنصور وأتمه الأتراك، إذ كان من العادة أن يقام بها عامل وفرقة من الفرسان، ويتوفر فيها الفرسان على ثلاثة قطع من المدفعية وعلى عدد من المقاتلين تحت إمرة قائد يعينه حاكم مدينة الجزائر، ومهما يكن من أمر فإن سكانها ميسورون ويجني منها أمراء تلمسان ألف بيسطلو ليس في العام، ويستنفرون منها عشرين ألف مقاتل عند الاقتضاء ما بين

---

[1] ـ نفسه، ص 237.

[2] ـ مارمول كاربخال، المصدر السابق، ص 324.

فارس ورّاجل وكلهم من الرجال الأشداء في الحرب المتوفرين على عدة جيدة، [1] وعلى الخصوص القلعة استقبلت مجموعة من المهاجرين الأندلسيين بعد سقوط مدينة غرناطة، ليلقى هؤلاء الترحاب من قبل سكانها مما جعلهم يلعبون دورا مشرفا في ازدهار الحركة الفكرية بها. [2]

3-4- شرشال:

مدينة كبيرة عتيقة بناها الرومان يسميها بطليموس كانوش ويجعلها عند ست عشرة درجة وعشر دقائق من خطوط الطول وثلاث وثلاثين درجة وثلاثين دقيقة من خطوط العرض، ويذهب بعضهم إلى أنها كارشينا كولونيا التي تعرضنا لذكرها أعلاه وهي بين مدينة تنس وبين مدينة الجزائر، تفصلها عن كل منهما مسافة خمسة عشر فرسخا في البحر، أما عن طريق البحر فلا تصل المسافة بينهما إلى عشرة فراسخ، فهي على الساحل، وقد كانت تحيط بها في الماضي أسوار جيدة من الحجارة المنحوتة، يبلغ محيطها أكثر من ثلاثة فراسخ، كما كانت بها قلعة رائعة [3] ومزال بها من ذلك العهد معبد كبير مشيد بالرخام والمرمر، استطاع القوط الذين مروا إلى اسبانيا الاستيلاء على هذه المدينة أيام رخائها وأبقوها على التبعية لهم مدة طويلة، وبعد ذلك عادت إلى العرب فأعادوا إليها سالف ازدهارها، ولكن الخليفة الشيعي الذي قام بالقيروان دمرها ولم يبق منها إلا الأطلال، وظلت على تلك الحال مدة ثلاثة ثرون إلى أن جاز عدد من المسلمين إلى إفريقيا بعد أن استعادها فرديناند فقام بعضهم يعيد بناء القلعة والدور التي رأوا فائدة في إصلاحها [4]، وقد استقبلت هذه المدينة العريقة على غرار المدن الأخرى جماعات أخرى من الأندلسيين استقروا فيها بعد إعادة إعمارها وفي هذا الصدد يقول الحسن الوزان: "بقيت المدينة خالية من السكان زهاء عدة قرون حتى سقوط غرناطة في يد المسيحيين فقصدها الغرناطيون وأعادوا بناء عدد من دورها

---

[1] ـ نفسه، ص 325.

[2] ـ مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية، الأحوال السياسية، ج1، ص 237.

[3] ـ مارمول كاربخال، المصدر السابق، ص 355.

[4] ـ مارمول كاربخال، المصدر السابق، ص 356.

وجددوا القلعة وزرعوا الأراضي المحيطة بها إلا أن وجدوا هناك كمية لا تحصى من أشجار التوت الأبيض". [1]

إن الأندلسيين الذين توافدوا على شرشال وغيرها من مدن الدولة الزيانية مارسوا نفس الحرف التي كانوا يقومون بها في الأندلس مما ساعد في ازدهار الصناعة، وشيئا فشيئا قام العمران بهذا السهل على أيدي المدجنين وأهل تكارت ومسلمي الأندلس المتصفين بالشهامة والحذق. [2]

[1] _ حسن الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 34.

[2] _ مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية، الأحوال السياسية، ج1، ص 239.

الفصل الثالث: الإسهامات الحضارية للأندلسيين بالمغرب الأوسط

1- سياسيا وإداريا.

2- إقتصاديا وعمرانيا.

3- اجتماعيا وثقافيا.

3- الإسهامات الحضارية للأندلسيين بالمغرب الأوسط:

فتحت تلمسان الزيانية ذراعيها للأندلسيين، وسمحت لهم بإبراز قدراتهم ومهاراتهم التي اكتسبوها في شبه الجزيرة الإيبيرية لعدة قرون فاندمج الأندلسيون بسرعة في حركية المجتمع الزياني واستغلوا ما اكتسبوه من خبرات على أرض العدوة الأخرى للسير في ركب الإبداع والإنجازات الحضارية وتمثلت هذه الإنجازات في المجالات الآتية:

3-1- سياسيا وإداريا:

حيث تقلد هؤلاء مناصب في الدولة الزيانية وهذا يرجع إلى تجاربهم في ميدان الإدارة وكونهم يتحلون بالأمانة والصدق والسيرة الحسنة، ومن بين هؤلاء الفقيه أبو بكر محمد بن عبد الله بن داوود بن خطاب الغافقي المرسي، وهو من بين الذين ترجم لهم ابن خلدون يحى فقال عنه: "روي عن أبي بكر بن جمهور وأبي بكر بن محرز الغافقي وأبي الحسن عبد الرحمن بن وفاء وأبي عيسى محمد بن محمد بن أبي سداد وأبي مطرف بن عميرة الميورقي وغيرهم، أجازه أبو الربيع سالم وكان من أبرع الكتاب خطا وأدبا ومن أعرف الفقهاء بأصول الفقه كتب بغرناطة عن ملوكها وقفل إلى مرسية وقد اختلت أمورها فارتحل إلى تلمسان، ولما ظهر اهتمام يغمراسن بالعلوم قربه منه فقال عنه يحى بن خلدون كتب لأمير المؤمنين يغمراسن بن زيان وتوفي بتلمسان يوم عاشوراء سنة (636هـ/1238م)".

ومن الموظفين الذين توافدوا من الأندلس على تلمسان ابن وضاح بعد سقوط دولة الموحدين اجتاز البحر مع جالية أندلسية فآثره يغمراسن ثم قربه من مجلسه وأكرم وفادته وأجله من الخطبة والشورى بمكان اصطفاه له. [1]

[1]- مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية، الأحوال السياسية، ج1، ص ص 227-228.

ومن هؤلاء الفقيه عبدون بن الحباك الذي تولى القضاء كما أشار إلى ذلك ابن خلدون يحى إلا أنه لم يحدد لنا مكان توليه القضاء وزمنه، فاكتفى بقوله: "هو الفقيه القاضي أبو محمد عبدون بن محمد الحباك كان خطيبا وصاحبا لأمير المسلمين أبي يحى بن زيان". [1]

أيضا محمد ميمون بين وزارة المال والحجابة في آن واحد، وعين ابنه محمد الأشقر من بعده، ثم ابنه إبراهيم بن محمد على نفس الخطة بعدهما وأشرك معه في الوظيفة من قرابته علي بن عبد الله بن الملاح [2] ، ومن بين الشخصيات الأندلسية أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الآبلي التلمساني، ويعود أصل أجداده إلى مدينة أبله بالأندلس، وقد ولد بتلمسان حوالي (681هـ/1282م)، فدرس بها [3].

محمد بن علي بن القاسم المرسي في وظيفة الكتابة والإنشاء، وقد كان من موظفي الدولة من الأندلسيين في عهد السلطان أبي حمو موسى الثاني[4]، أيضا الأسرة العقبانية التي احتكرت ودون انقطاع منصب القضاء لمدة تزيد عن القرن وربع قرن (767-896هـ/1365-1490م). [5]

ومنه أبو عثمان محمد بن محمد العقباني ولد بتلمسان سنة (720هـ/1320م) أخذ العلم عن الأخوين بني الإمام ثم درس على الآبلي الأصول والعلوم العقلية [6]، ومنهم قاسم بن سعيد العقباني فقد أخذ عن والده وغيره من العلماء فبرع في العلوم الدينية وولي القضاء بتلمسان وأخذ عنه حفيده محمد بن أحمد العقباني وابنه محمد بن قاسم العقباني الذي كان فقيها عارفا بالنوازل ولي قضاء الجماعة بتلمسان ومن أبرز ما كتبه: "تحفة الناظر في تغيير المناشر"، ومن بين الذين توافدوا

---

[1]- مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية، الأحوال السياسية، ج1، ص 228.

[2]- ابن خلدون، العبر، ج7، ص 106.

[3]- مختار حساني، مرجع سابق، ص 228.

[4]- نفسه، ص 228.

[5]- علاوة عمارة وآخرون، مغرب أوسطيات، دراسات في تاريخ وحضارة الجزائر في العصر الإسلامي، ط1، منشورات مكتبة اقرأ، قسنطينة، 2013م، ص 91.

[6]- مختار حساني، مرجع سابق، ص 228.

على تلمسان أيضا شمس الدين عبد الله الوداشي، قال في شأنه ابن مرزوق: "عاشرته فقرأت عليه الكثير وقيدت من فوائده وأنشدني الشعر وقرأت عليه بمنزلي من تلمسان"، هذا العالم درس بتلمسان الحديث والفقه والأصول والنحو والمنطق والجدل والفرائض، وكان كثير الأسماع في الفقه والجدل، ومن بين الذين نزلوا تلمسان من الأندلس الزاهد أبو عمرة بن غالب المرسي، وكان بتلمسان غير واحد من أصحابه [1]، رغم كل الملاحقات والمصادرات التي ألمت بهم، لم يمنعهم ذلك من البروز في ميدان الحجابة فنجد منهم محمد بن أبي الحسين ابن سيد الناس الذي استبد هو الآخر بشؤون الدولة وبأمور الحجابة، مما أثار غيرة الحساد والواشون، فأوعزوا صدر السلطان "أبي بكر" عليه فهو المعروف بترتيب الأمور وصدق كل مهمة إلى أربابها، وكان لا يولي قاضيا حتى يشهد فيه بالخير من يوثق بدينه، وكان لا يكتب لأحد كتابا إلا بعد استقرار خطوته. [2]

لهذا ألقي القبض عليه في ربيع سنة (733هـ/1332م) ممتحنا إياه بأنواع العذاب لاستخراج المال منه فلم ينبس بكلمة، ولما اشتد عليه العذاب، أفحش في القول ونال من السلطان وأقدح، فقتل بالعصي، ثم أحرقوه خارج الحضرة. [3]

ويؤكد بن قنفد على هذه النهاية المأساوية لمحمد بن أبي الحسين بقوله: "وهو الذي قتل بسبب ما اجترم وأساء بلسانه وأحرقه العامة بالنار و لم تعد على يده اليمنى بوجه، وترد إلى النار مرارا، وهي على حالها، وهذا خبر صحيح لا شك فيه" [4] وأول بالصدقة أو يكتب ما فيه قربة والله أعلم.

تواصلت خدمتهم في البلاط الزياني مع عثمان بن يغمراسن (681-703ه1282-1303م) وابنه أبي حمو موسى الأول (707-718هـ/1307-1318م) الذي كان لهم في دولته مزيد من العناية

[1]- مختار حساني، تاريخ الدولة الزيانية، الأحوال السياسية، ج1، ص 230.

[2]- أبو العباس أحمد بن حسين بن علي بن الخطيب القسنطيني، ابن قنفد، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تح: الشاذلي النيفر وعبد المجيد التركي، دط، الدار التونسية للنشر، تونس، د ت ط، ص 165،

[3]- ابن خلدون، العبر، ج6، ص 501.

[4]- ابن قنفد، المصدر السابق، ص 165.

والحظوة، فولى الوزارة والحجابة محمد بن ميمون بن ملاح، ثم ابنه الأشقر من بعده، وعين ابراهيم بن محمد على نفس الخطة بعدهما وأشرك معه في الوظيفة قريبه عليا بن عبد الله بن ملاح.

وظلت هذه الأسرة تختص في بالمناصب الإدارية السياسية، إلا أن نكبهم أبو تاشفين الأول بن حمو الأول، عندما ثار على أبيه وقتله مع خاصته وخلصائه من بني ملاح بالدار البيضاء بتلمسان سنة (713هـ/1313م) ومهما يكن من أمر فالجدير بالملاحظة هو أن الجالية الأندلسية تركت بصماتها الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والعمرانية في المجتمع التلمساني، وساهمت في تطويره ونموه في مختلف المجالات، وقد نجحت في مهامها الإدارية والسياسية في البلاط الزياني على مر السنين، حتى ظهرت منهم فيما يبدو طبقة سياسية أندلسية متميزة، لا سيما في النصف الأول من القرن التاسع هجري، الخامس عشر ميلادي، تكتلت فيما بينها وأصبحت تمثل مركز القوة في البلاط الزياني، تثير أحيانا بعض الدسائس، وتقاوم معارضيها بمختلف الوسائل للاحتفاظ بالنفوذ والامتيازات السلطانية، ولعلهم كانو يحاولون فرض نوع من الوصاية السياسية والحضارية على أهل تلمسان، كما فعلوا مع أهل تونس.[1]

وقد بلغ نفوذهم الإداري والسياسي مبلغا جعل بعض شيوخ بني زيان وبعض علماء تلمسان يضيقون بهم ذرعا، وخاصة في عهد الأمير عبد الواحد ابن عبد الله (814-827هـ/1411-1424م) الذي طالت مدته نسبيا وساءت سمعته، حسب تعبير أحد المؤرخين فاتخذ بطانه من جالية أندلسية، دفعت به إلى الإنغماس في ملذات الحياة وبهرجها ونعيم الترف ومغرياته، فصرف الأموال الكثيرة على شهواته، وأغدق العطايا على خلصائه وخلانه وتوسع في لوازم الرفاهية، واتخذ لنفسه أعيانا من اليهود وأعوانا منهم، فأنكر عليه ذلك فقهاء المدينة ووجهائها، وفي هذا الصدد يقول الفقيه العالم أبو عبد الله محمد بن مرزوق الحفيد المتوفي سنة (ت842ه/1438م):

تلمسان دار لا تليق بجاهنا ولكن لطف الله نسأل في القضا

[1]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 179.

فكيف يرجى الخير ممن سيسوسه يهود وفجار ومن ليس يرتضى. [1]

ومن هؤلاء المهاجرين بل وعلى رأسهم الشخصيات السياسية والعلمية، والعائلات الفنية ذات المكانة الاجتماعية المرموقة ومن غير شك فإن هؤلاء الأرستقراطيين النازحين من الأندلس ومن بينهم سياسيون محترفون، قد لعبوا دورا له أهميته في توجيه الأحداث، سواء داخل القصور أو خارجها لقد حمل هؤلاء معهم ليس الذكاء الحضري ودهاءه وحسب، بل الخبرة والاحتراف السياسي أيضا الشيء الذي مكنهم من القيام بدور الموجه، ولو من وراء ستار.[2]

هذا من جهة، ومن جهة ثانية فإن دخول هؤلاء الأرستقراطيين من علماء وسياسيين في بلاط وأمراء السلاطين بالمغرب جعل منهم حاشية أرستقراطية جرفت معها إلى أسلوب حياتها المعتمد على البذخ والترف، كان يعني في الواقع انفصال السلطان عن جنده وتنكره للرجال الذين شكلوا أول الأمر دعائم ملكي والنتيجة الحتمية لذلك هي ضعف سلطته وفتح الباب على مصراعيه للمغامرات والمؤامرات. [3]

كل هذا يكشف عن شعور قوي بعدم الأمن، تولدت عنه عقلية انتهازية قصيرة الرؤية، كنا قد لاحظناها بالأندلس، ولقد كان الأمن حقا مفقودا في كل المستويات، في مستوى الأرياف، وفي مستوى البلاط، حيث سوء الظن والخيانة والسعاية والتعذيب، والقتل، وحرق الأشلاء، فتكونت عقلية نسجتها العنكبوت بخيوط التنجيم والطلسمات. [4]

لقد قدم الأندلسيون لاجئين بعدما أضاعوا بلادهم وخرجوا منكوبين من وطنهم، ولقد شاهدوا كيف انتصر عليهم المسيحيون بفضل سياسة واعية متواصلة حافزها ومحورها استرجاع

---

[1]- نفسه، ص179.

[2]- محمد عابد الجابري، العصبية والدولة، معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي، ط6، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1994، ص 28.

[3]- نفسه، ص 28.

[4]- مختار الطالبي محمد، الهجرة الأندلسية إلى إفريقيا أيام الحفصيين، مجلة الأصالة، العدد، 26، ص 64.

الوطن السليب، كل هذا كان من شأنه مبدئيا أن يوقض فيهم الضمائر، ويدعوهم إلى التفكير وإلى حفز الهمم، والإعراض عن الخسائس والسفاسف، ويجعل منهم حزب يقضة وإصلاح بل- لما لا؟- حزب إعداد العدة لاستعادة ما أغتصب منهم بالقوة، [1]

وعادة ما كان أبناء الجالية الأندلسية يصلون بفضل مستوياتهم العلمية والأدبية، ولكن الأندلسي سرعان ما يجد أن الرغبة تعتريه من جديد للإستحواذ على ما هو أكثر من ذلك، وتحركه رغبته في البحث عن ذاتيته، وطبيعته المائلة دائما نحو الاستقلال ومن هنا يبدأ الصدام مع الآخر، وتكثر الوشايات وتبدأ معها النكبات وهذا ما حصل مع الكثيرين من أفراد البيوتات الأندلسية في دولة بني زيان منهم بيت بني الملاح الذين كان وجودهم بتلمسان لفترة قصيرة نسبيا. [2]

وكل ما فكرت فيه نخبة القوم وأصحاب الأقلام منهم هو أن يعوضوا ثديا بثديــ وإن كان أقل نعومة، وأن يحتلبوا من بلاطي تونس وبجاية ما تعودوا احتلابه من بلاطات الأندلس احتلابا قضى على الحسناء. [3]

لقد حمل الأندلسيون في حقائبهم المرض الذي منه ماتت الأندلس، كان ذلك في الوقت الذي عرفت فيه أوروبا انفجارا ديموغرافيا عظيما، ومدا اقتصاديا عارما، وانطلاقة نهضة عمت جميع الميادين، وفي الوقت الذي كان فيه ملوك اسبانيا يضعون الخطط لإعادة المغرب العربي أيضا إلى حضيرة النصرانية. [4]

[1]- مختار الطالبي محمد، المرجع السابق، ص 64.

[2]- السحر السيد عبد العزيز سالم، أوراق بحر متوسطة من العصر الإسلامي، دط، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، 2006، ص ص 257-258.

[3]- رزوق محمد، الجالية الأندلسية بالمغرب تونس والجزائر نموذجا، مجلة المناهل، المغرب، العدد 34، 1986م، ص 138.

[4]- نفسه، ص 138.

فالبنسبة لفئة العلماء كان دورهم كبيرا في إبراز العلم الأندلسي ونشر إشعاعه على الساحة الفكرية بالمغرب الإسلامي وأما فئة الصناع والحرفيين فلم يصلوا إلى مناصب سامية. [1]

بقدر ما كان هدفهم ضمان موارد عيشهم، لكن هذه الفئة وجدت نفسها وجها إلى وجه مع صناع وحرفيين تقليديين منافسين لهم مما أدى إلى وجود نوع من الصراع الاقتصادي، غير أن حدته كانت تتضاءل باستمرار مع مرور الزمن. [2]

وهذا يتفق مع ما وصل إليه الباحث بعيزق قائلا: "كان الصراع أساسا لكسب النفوذ السياسي والاجتماعي، لكنه صراع يحتد في الأعلى، ويتقلص تدريجيا نحو الأسفل، وقد يغيب داخل فئات العامة لا سيما الدنيا منها". [3]

3-2- اقتصاديا وعمرانيا:

- **اقتصاديا:**

لم تكن الخبرة والمهارة الأندلسية في المجال الزراعي والصناعي لتتوقف مع هجرة المسلمين الأندلسيين وطردهم نهائيا من إسبانيا، بل انتقلت معهم إلى الحواضر التي حلوا بها، وكان للجزائر المحروسة وتلمسان نصيب الأسد من ذلك، فهل الفلاحون الأندلسيون المهرة على استصلاح الأراضي بتلمسان لتكون مصدر رزقهم، وأدخلوا عليها أساليب متطورة كانوا يستعملونها في الأندلس، وحولوا محيط مدينة تلمسان خاصة ضفتي واد الوريط إلى حدائق غناء ومزارع منتجة، وطوروا كثيرا من الزراعات كزراعة الزيتون والحوامض والكرز والتوت والخضر المختلفة، ورسموا في مساحات الأراضي المستصلحة، وجعلوا من تلمسان سوقا كبيرا فالبراعة الأندلسية والتحكم في التقنيات الصناعية التي تطورت في مدن: بلنسية وإشبيلية وسرقسطة وماردة وغيرها وجدت لها

[1]- نفسه، ص 138.

[2]- رزوق محمد، المرجع السابق، ص 184.

[3]- بعيزق صالح، بجاية في العهد الحفصي، دراسة اجتماعية واقتصادية، دط، منشورات كلية الآداب، تونس، 1999، ص 453

مكان في مدينة تلمسان، فأضاف الأندلسيون كثيرا للخبرة التلمسانية، واستغلوا الحركية الاقتصادية في المدينة لإقامة عدة ورشات ومصانع غيرت للتجارة والحدادة والخياطة والمعدات العسكرية، ورافق التطور الاجتماعي نهضة صناعية شملت طرز الملابس الجلدية والقطنية والحريرية، وصناعات البارود والمدافع، وارتبطت بعض الصناعات بعائلات معينة توارثت الصنعة أبا عن جد، وامتد التأثير الأندلسي في مجال الصناعات قرونا طويلة، ومع التطور المتزايد للصناعة والزراعة أضفى الأندلسيون نشاطا ملحوظا في المجال التجاري بين المدن الجزائرية انطلاقا من تلمسان مرورا بالسواحل الغربية وصولا إلى السواحل الأوروبية، وبذلك نشطت الحركة التجارية في تلمسان وبرز التعامل بالنقود والعملة الاسبانية السابقة. [1]

كما ساهم الأندلسيون في:

- بناء وتجديد عدد من المدن مثل مدينة تنس التي أنشأت سنة (262هـ/875م)، ومدينة وهران سنة (290هـ/902م) حيث استقروا بها واستوطنوها بموافقة أهلها، وهناك ثلاثة عوامل على الأقل دفعت الجالية الأندلسية لتجديد تعميرهم لهذه المدن منها:

العامل الطبيعي:

تتوفر هذه المدن على موانئ هامة تجعل السفن بمنأى عن العواصف وتساعد على رسوها، ووجود سهول واسعة وخصبة مع توفر المياه العذبة بها وهو ما يساعد على الاستقرار. [2]

كانت الجالية الأندلسية ترمي بهذا العمل إلى ضمان منفذ تجاري للبضائع الأندلسية داخل القطر الجزائري والسودان، وكذلك تصدير البضائع الجزائرية والسودانية إلى الأندلس، يقول ابن

[1]- بن سهلة تاني سيدي محمد، المؤثرات الحضارية الأندلسية على الهوية الثقافية في الجزائر (تلمسان نموذجا)، رسالة دكتوراه العلوم، جامعة أبو بكر بلقايد، تلمسان، كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، قسم التاريخ وعلم الآثار، 2013-2014م ص 222.

[2]- فؤاد طوهارة، الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأوسط (السياق التاريخي والمجال الجغرافي)، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم العدد 15، 2015م، ص 166.

حوقل في هذا الصدد: "وهي (وهران) فرضة (محط السفن) الأندلس إليها ترد السلع، ومنها يحملون الغلال..." ويقول الإدريسي أيضا في هذا الصدد: "وبها (وهران) أسواق مقدرة وصنائع كثيرة، وتجارة نافقة، وهي تقابل مدينة المرية من ساحل بر الأندلس، وسعة البحر بينهما مجريان... ومراكب لأندلس إليها مختلفة".[1]

العامل السياسي:

كانت الخلافة الأموية بالأندلس ترمي من وراء ذلك إلى جعلها قاعدة أندلسية ضد الفاطميين، وضد الثائرين عليها من أدارسة المغرب، وذلك عن طريق بث دعاتها من قبائل مغراوة القاطنة بالمنطقة، بعد هذا يحق لنا أن نتساءل: كيف كان سلوك الأندلسيين بالمنطقة؟ نورد في البداية نصا للحسن الوزان، وهو يحمل أكثر من جواب على هذا التساؤل إذ يقول: "وكان الوهرانيون دائما أعداء الملك تلمسان، لم يقبلوا قط أي والي من ولاته ما عدا أمينا للمال وقابضا يستلم مداخيل الميناء، وكانوا ينتخبون رئيس مجلس ينظر في القضايا المدنية والجنائية، كما كان التجار في ما مضى يجهزون على الدوام سفننا شراعية وأخرى مسلحة يمارسون بها القرصنة ويجتاحون سواحل قطلونية وجزر يابسة ومنورقة وميورقة حتى أصبحت المدينة تزخر بالأسرى المسيحيين".[2]

نلاحظ أولا أن المؤلف لم ينص صراحة على أنه أندلسيون ولكن كل القرائن تدل بالفعل على أنهم أندلسيين نذكر مثلا أن الجالية الأندلسية ظلت تتقاطر على المنطقة.

والجدير بالملاحظة أن تلمسان كانت خلال هذه الفترة تمتاز بنشاط ملحوظ في المجال الاقتصادي نظرا لأهمية صناعتها التقليدية من نسيج وحياكة وطرز وغير ذلك، التي كان لها شهرة في العديد من الأقطار، ولمنتجاتها الزراعية الوافرة، ولموقعها الهام في ملتقى الطرق التجارية، مما

[1]- محمد رزوق، دراسات في تاريخ المغرب، ط1، افريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 1990م، ص 50.

[2]- نفسه، ص 50.

جعلها مركزا رئيسيا للتجارة الرابطة بين بلاد السودان جنوبا وأوربا الغربية شمالا من جهة وبين الشرق والغرب من جهة أخرى، وقد نتج عن ذلك ازدهار تلمسان في سائر المجالات وتطلعها الحثيث للتعامل مع الأسواق الخارجي، وكان لملوك بني زيان مؤسسة دار الصنعة التابعة للدولة لإنتاج الأسلحة والعتاد الذي هي بحاجة إليه، وقد وصفها يحى بن خلدون فقال: "إن دار الصنعة السعيدة تموج بالفعلة على اختلاف أصنافهم وتباين لغاتهم وأديانهم، فمن درَّاق ورمَّاح ولجَّام ودرَّاع ووشَّاء وسرَّاج ونجَّار وحدَّاد وصائغ دبّاج وغير ذلك فتستق لأصواتهم وآلاتهم الأسماع، وتحار في أحكام صناعتهم الأذهان، وتقف دون بحرهم الهائل الأبصار، ثم تعرض كل يوم مصنوعاتهم فيه بين يدي الخليفة أيَّده الله".

فهذا القول إن دل على شيء فإنما يدل على أن الصناعة التقليدية التي أشاد بأهميتها الجغرافيون مثل البكري والإدريسي[1]، والزهري خلال عهد المرابطين والموحدين، قد ازدهرت أيام الزيانيين ولا شك أن العديد من الأندلسيين المسلمين والنصارى قد ساهموا في ذلك التطور الملحوظ بقسط وافر إلى جانب العناصر المحلية. [2]

ومن الصناعات المستحدثة التي ارتبطت بالوجود الأندلسي بالجزائر نسيج القطيفة المخمل التي إختص فيها مهاجروا غرناطة، وصناعة الشبيكة (La dentelle) التي توارثتها المهاجرات الأندلسيات عن أمهاتهن سواء من حيث الآلات المستعملة في نسجها وطرزها أو الطريقة المتبعة في تشكيلها، أما الصناعات التي كانت موجودة قبل حلول الأندلسيين ونهضت بفضل اعتنائهم بها فمنها الشاشية (الطربوش) التي أصبح لها سوق خاص بها بمدينة الجزائر عرف سوق الشواشي، واشتهرت بصنعها عائلة "القلاسني بوناتيرو" وكذلك صناعة نسيج الزرابي بالنواحي الغربية من الجزائر غلب عليها الطراز الأندلسي ابتداءا من القرن الرابع عشر الذي عرف انتقال طريقة

[1]- الادريسي، المغرب العربي (من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق)، ص ص 100،101.

[2]- محمد رزوق، المرجع السابق، ص 57.

صناعتها من المرية المركز الرئيسي لصناعة النسيج بمملكة بني نصر إلى هنين وتلمسان [1] وأشار إلى ذلك المؤرخ ابن الأعرج بقوله: "وكان لعهد نزول الأندلسيين بها تلمسان مزدانة بالمصانع المفيدة فما شئت من أطرزة ومنسوجات الحرير والقطن والكتان والصوف ومعامل الفخار والخزف وأنواع السلاح، وسائر الأواني المترلية " [2]، كما يعود الفضل للأندلسيين في تحسين صناعة الأسلحة وتحضير البارود وتطوير صناعة السفن بمنائي الجزائر وشرشال [3] ويشير إلى ذلك ابن الأعرج بقوله: "نشروا بين الناس آدابهم وراج مصانعهم وقلدهم الناس في فلاحتهم واعتنائهم بغرس الزيتون وسائر الفواكه، حتى صارت البلاد وأهلها في حالة زاهية وعيشة راضية، وعمل بعض الأندلسيين في صفوف الجيش الزياني، كجنود ضباط في الفرق العسكرية، فقد استعمل منهم أبو يحى يغمراسن إبراهيم الآبلي وأخاه أحمد في سلك الجندية، حتى صار إبراهيم قائدا عاما لمدينة هنين".

هذا ويعود الفضل إلى الأندلسيين في إدخال زراعة محاصيل لم تكن تجد العناية والإهتمام لدى الأهالي مثل زراعة شجرة التوت الأبيض والأسود بنواحي القليعة وشرشال والأرز والقطن بجهات مستغانم ومليانة والعناب بإقليم عنابة.

- **عمرانيا:**

كان للهجرة الأندلسية إلى الجزائر انعكاس ايجابي على الحالة العمرانية التي شهدت استقرار العنصر الأندلسي نموا ملحوظا وتطورا لم تعرفه الجزائر منذ العهد الحمادي، إذ نلاحظ أن هناك نهضة عمرانية بدأت ترتسم ملامحها ابتداءا من مطلع القرن الخامس عشر تتمثل بالخصوص في إنشاء مراكز حضرية جديدة وإعادة بناء المدن والقرى التي أصابها الاضمحلال، [4] كما ساهموا في بناء معالم جديدة منها المساجد والجوامع أو بعض المرافق مثل عيون الماء وزخرفة البيوت والنقش على الخشب وتزيين

[1]- ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية، مظاهر التأصير الأيبيري والوجود الأندلسي بالجزائر، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003م، ص22.

[2]- العزيز بن الأعرج، المباني المرينية في إمارة تلمسان الزيانية، رسالة دكتوراه دولة، قسم الآثار، جامعة الجزائر، 1998-1999م، ص 79.

[3]- ناصر الدين سعيدوني، دراسات اندلسية، ص 22

[4]- المقري، نفح الطيب، ج6، ص 176.

الحدائق، مع العلم أن التعاون بين الأندلسيين وملوك تلمسان في مجال العمران سبق سقوط غرناطة، لكنه برز بشكل أكثر بعد وصول آلاف المهاجرين. [1]

وشرشال التي ازدهرت بعد أن استقرها مهاجروا غرناطة وامتلكوا أغلب منازلها بحيث أصبح عدد المنازل التي تقوم للأندلسيين يقدر بإثني عشر ألفا [2]، وأن بصمات المهندسين والفنيين الأندلسيين في مدينة تلمسان كانت واضحة ولا سيما في الصناعة والعمران في العهدين المرابطي والموحدي [3] فاستعملهم أبو حمو موسى وابنه أبو تاشفين في بناء القصور والمنازل الفخمة والبساتين الناضرة، وفي هذا الصدد يقول ابن خلدون: "فبعث إليها (تلمسان) السلطان الوليد صاحب الأندلس بالمهرة، والحذاق من أهل صناعة البناء بالأندلس، فاستجادوا لهم القصور والمنازل والبساتين". [4]

وصاحب هذا النمو العمراني قيام الأندلسيين بإنشاء المرافق العامة، بإقامة العيون وإنشاء السواقي وجلب المياه إلى المدن وتنظيم الري، وكان حظ مدينة الجزائر من هذه الأعمال الخيرية وافرا [5] حيث أصبح الطابع الحضاري لأهل تلمسان يكاد يكون طابعا أندلسيا نلاحظه في الفضاءات العمرانية، ونميزه في مختلف البناءات الدينية والدنيوية، كما أنه في عهد الدولة الموحدية ظهر التأثير واضحا للحضارة الأندلسية على المباني والمنشآت. [6]

3-3- اجتماعيا وثقافيا:

- **اجتماعيا:**

---

[1]- ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 22

[2]- نفسه، ص 19.

[3]- عبد العزيز فيلالي، المرجع السابق، ج1، ص 174.

[4]- نفسه، ص 178.

[5]- ناصر الدين سعيدوني، دراسات اندلسية، ص 19.

[6]- عبد الواحد بن علي التميمي المراكشي، وثائق المرابطين والموحدين، تح: حسين مؤنس، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1997م، ص 203.

هاجر الأندلسيون وهم يحملون معهم موروثهم الاجتماعي الذي عرفوه في مختلف المدن والحواضر من بلنسية وقرطبة وغرناطة وإشبيلية، فكانوا أحرص على الإعتزاز بشرفهم ونسبهم ومكانتهم الاجتماعية[1]، ومع أن الجالية الأندلسية كانت متجانسة مع بقية أفراد المجتمع الجزائري من حيث المعتقد واللغة والانتماء إلا أنها كانت تتميز عن غيرها من طوائف المجتمع بمميزات خاصة، وما يترتب عن ذلك من ممارسات في النشاط اليومي للأندلسيين. [2]

ظل أطراف الطائفة الأندلسية بالجزائر يعتبرون أنفسهم في دار هجرة مؤقتة يترقبون الفرص ويتحينون الظروف للعودة إلى مواطنهم الأصلية بالأندلس واسترجاع ما فقدوه من ملك الآباء وتراث الأجداد، حتى أن أرباب العائلات الكبيرة منهم ظلوا محتفظين بمفاتيح منازلهم بالأندلس بكل وفاء وإجلال، ولم يخامرهم أي شك في أنه سيأتي يوم يستطيعون فيه العودة إلى منازلهم القديمة وتعميرها من جديد، ويفسر هذا الإحساس اعتزازهم بأصولهم التي رأوا فيها نوعا من النبل والشرف، مما جعلهم لا يميلون إلى الاختلاط مع غيرهم من السكان، وهذا مل جعلهم يحجمون على التزاوج خارج جماعاتهم، فالمرأة الأندلسية نادرا ما تتزاوج من غير الأندلسي إلا إذا اضطرتها الحاجة والفقر إلى ذلك وبقي هذا الشعور يخامرهم ،وكما كانت تلمسان هي الأخرى عاصمة حضارية، ومجتمعها له مكانة رفيعة مما أهلها للافتخار والاعتزاز أيضا. [3]

كان أعضاء الجالية الأندلسية أكثر ثقافة وتطورا ونشاطا من باقي السكان الآخرين بفضل البيئة التي كانوا يعيشونها بالأندلس والظروف التي اضطرتهم إلى مغادرة مواطنهم والتحدي الذي عرفوه في محنتهم وتشردهم، ولعل هذه الظروف هي التي جعلتهم يتميزون بحماسهم الديني الجارف وعدائهم المستحكم للنصارى، لا سيما جماعة الثغريين منهم، وفرضهم مقادير باهضة لفداء الأسرى النصارى.[4]

بدأ التأثير واضحا في نمط المعيشة وتسيير الأمور اليومية فأصبح التنافس في زينة البيوت وفي الملابس الفاخرة والأكلات وظهرت الرفاهية في الأحياء، وشملت مختلف مظاهر الحياة اليومية للتلمسانيين، فانتعشت صناعة الأثاث الفاخر وتجارته، وخياطة وطرز الملابس الزاهية وجودتها،

---

[1]_ محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ط4، ج4، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997م، ص 98.

[2]_ ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية، ص 24.

[3]- محمد عبد الله عنان، دولة الإسلام في الأندلس، ج4، ص 98.

[4]- ناصر الدين سعيدوني، دراسات أندلسية، ص 24.

وبرزت الحفلات العائلية في المناسبات الدينية والاجتماعية كالزواج والختان وما إلى ذلك، وفعلا عرفت تلمسان رقيا اجتماعيا لم تجد له نظيرا في تاريخ الحواضر في تلك الفترة.

كذلك نلمس التأثير في عادات وتقاليد مجتمع المغرب الأوسط [1]، في المأكل والملبس والمتاع، فمن بين الأطعمة التي ثبت دخولها المغرب الأوسط نذكر: الملوزة، البوسكوشو، البسطيلة، الموخانية وهي نوع من العجائن المحشوة بالجبن تقلى وتأكل مغلفة بالسكر والقرفة والعسل وشراب الورد. [2]

- **ثقافيا:**

قد حفظت لنا المصادر والآثار أخبار الكثير من رجال الدين والعلم والفن الذين قدموا من الأندلس إلى تلمسان، وساهموا في دفع التطور الحضاري بها، خلال تلك الفترة مثل ابن غزوان [3]، الذي نزل تلمسان في عهد المرابطين ونشر العلم بها، وتوفي سنة 524هـ/1129م، ومثل الولي صالح أبي مدين بن الحسين الإشبيلي، [4] الذي ذاع صيته في مختلف أنحاء المغرب الإسلامي أيام يعقوب المنصور الموحدي، وتوفي قرب تلمسان سنة 594هـ/1197م فدفن في رابطة القياد خارج المدينة شرقا، وكان ضريحه محل احترام وتبجيل الزائرين الوافدين إليه من سائر أنحاء المغرب العربي.

ولأبي مدين شعيب أشعار وحكم كان لها أثر هام في انتشار التصوف بين أهالي المنطقة، وعنايتهم بالشعر الصوفي الأندلسي وبتأليف كبار الصوفية، ومن علماء الأندلس الذين نزلوا تلمسان أنذلك واستقروا بها أبو بكر بن سعادة الإشبيلي، الذي عاصر أواخر عهد الموحدين، الذي تخرج على يديه كثير من علمائها في الحديث وغيره من العلوم الدينية، وتفي بها سنة 600هـ/1203م، ولا يفوتنا في هذا الصدد أن نذكر الولي صالح أبا عبد الله الشويذي الإشبيلي الذي عاصر أواخر عهد الموحدين، وساهم أيضا في نشر التصوف في تلمسان، في شكله الشعبي المتمثل في نزعة الزهد والخلوة، ودفن بها خارج باب علي فكان قبره محل إقبال الزائرين، وقد استفادت تلمسان كثيرا من هجرة العلماء والأدباء والكتاب وكبار الموظفين إليها قادمين من مختلف الأنحاء، وقد نبه ذكر كثير

[1]- محمد عبد الله عنان، المرجع السابق، ص 98.

[2]- فؤاد طوهارة، المرجع السابق، ص 165.

[3]- عن ابن غزوان، أنظر: ابن بشكوال أبو القاسم خلف بن عبد الملك، الصلة، تح: إبراهيم الأبياري، ط1، ج1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1989م، ص 77.

[4]- عن أبي مدين شعيب الإشبيلي، أنظر: المقري، نفح الطيب، ج9، ص ص 342-351.

منهم وذاع صيتهم وكان لهم أثر فعال في تدعيم النشاط الثقافي والفني، والمشاركة في تسيير شؤون البلاد، وإذا كان من المستحيل حصر عددهم فلعلنا نستطيع تبيين الدور الهام الذي لعبوه في هذه الميادين نذكر بعض المشاهير من بينهم كنماذج وأمثلة.

فمن أشهرهم أبو بكر محمد بن الخطاب الغافقي المرسي الكاتب البارع، الذي كان كاتبا لملوك بني نصر بغرناطة، ثم عاد إلى بلدته مرسية، غير أن أوضاعها لم تكن مستقرة فغادر الأندلس وقدم إلى تلمسان في عهد يغمراسن بن زيان، فكتب له ثم لولده أي سعيد عثمان إلى أن توفي سنة (686هـ1287م). [1]

ومنهم بنو الملاح من أهل قرطبة الذين كانوا يشتغلون بحرفة صياغة الذهب والفضة، ونزلوا في تلمسان في جملة من هاجر إليها من جالية قرطبة، فزاولوا بها حرفتهم، واستعملهم ملوك بني زيان في أشغال دولتهم، وعينوا في وظيفة سكنة الدنانير والدراهم، وزادت حظوتهم في عهد أبي حمو موسى الأول الذي عين في الحجابة محمد بن ميمون ابن الملاح، وبقيت الحجابة في أسرته إلى وفاة هذا السلطان سنة (718هـ/1318م). [2]

ومن أشهر العلماء أبو عبد الله الآبلي الذي يرجع أصل أجداده إلى مدينة أبلة بالأندلس، نشأ بتلمسان في كفالة جده القاضي إبن غلبون، وأخذ العلم بها، ثم رحل إلى المشرق، ولقي كثيرا من علمائه، ثم عاد إلى تلمسان وفيها ظهر نبوغه في الرياضيات والعلوم العقلية، ثم رحل إلى المغرب الأقصى فلقي أبا العباس ابن البناء بمراكش، ثم استقر بفاس حيث عينه أبو الحسن المريني في مجلسه العلمي، وصحبه مع غيره من العلماء في حركته إلى الأندلس ثم انتقل معه إلى تونس سنة (753هـ/1352م)

لقد كان الأبلي من أبلغ رجال عصره وأذكاهم، وساهم في تكوين جيل من مشاهير العلماء فمن تلاميذه عبد الرحمن ابن خلدون الذي أخذ عنه كثيرا من نظرياته اللامعة في التاريخ وعلم الاجتماع وكذلك أخوه يحى مؤلف كتاب "بغية الرواد".

ومن كبار رجال غرناطة الذين حلوا بتلمسان لسان الدين ابن الخطيب الوزير والأديب المؤرخ، الشاعر الذي أقام بتلمسان حوالي سنتين قادما إليها من غرناطة سنة (772هـ/1370م) أيام استلاء عر العزيز المريني عليها، فأخذ عنه كثير من علماء تلمسان، واستفادوا من علمه وأدبه،

[1]- يحى بن خلدون، المصدر السابق، ج1، ص 129.

[2]- عن أبي الملاح، أنظر: عبد الرحمان بن خلدون، العبر، ج7، ص ص 217-218.

ولازمه يحى بن خلدون كاتب السلطان أبي حمو الثاني، وأخوه عبد الرحمن، ثم رحل لسان الدين إلى فاس حيث حظي بتكريم السلطان عبد العزيز المريني. [1]

كما نجد أيضا أبو الحسن القلصادي البسطي الذي نبغ في الرياضيات والفرائض وغير ذلك من العلوم، وحل بتلمسان في أواخر بني نصر أثناء رحلته عبر بلاد المغرب والمشرق ولقي معظم علمائها، ثم إلى تلمسان عندما غادر غرناطة نهائيا فأقام بها مدة قضاها في التدريس والتأليف وتوفي بباجة من بلاد إفريقية، سنة (891هـ/1486م).

وكانت في طليعة المراكز والمدارس الفكرية الأندلسية بالمغرب العربي مدرسة بجاية التي لعبت دورا مهما في الحياة الثقافية المغربية، في القرنين السادس والسابع للهجرة (الثاني عشر والثالث عشر ميلادي)، و لم تحظ مع أهميتها باهتمام أغلب الباحثين في مجال التراث الأندلسي. [2]

سمح هذا الوضع الاجتماعي المتميز للجالية الأندلسية ببجاية لجماعة علماء الأندلس أن تقدم إسهاما فعليا وأن تكون لها مشاركة إيجابية في تطوير الثقافة العربية الإسلامية ببلاد المغرب، مما ساعد على تأصل التراث الأندلسي وأبقى الطرق والأساليب العلمية الأندلسية حية، ومكن من المحافظة على المكتبة العربية الأندلسية، بما احتوته من تصانيف في مختلف العلوم النقلية والعقلية سواء ما يتصل منها بأمور الفقه أم فنون الأدب والمعارف الرياضية والطبية، ولعل أهم إسهام للمدرسة الأندلسية البجائية في تطوير الثقافة العربية الإسلامية ببجاية خاصة والمغرب الأوسط عامة، يتمثل في تجديد طريقة الدراسة، وتطويرهم أساليب تلقي المعلومات فتجاوزوا الطريقة المغربية التقليدية المعتمدة أساسا على تحفيظ القرآن ورواية الحديث والإطلاع على مبادئ علوم الشرع واللغة والتي ذكرها ابن خلدون [3] بقوله عن المغاربة بأن "مذهبهم في الوالدان الاقتصار على تعليم القرآن" إلى أساليب متطورة لا تقتصر فقط على الحفظ، وإنما تولى أهمية خاصة للبحث والتفكير وإلقاء الأسئلة، والمحاورة والمذاكرة بهدف إفهام الطالب وترسيخ المعلومات في ذهنه حتى يكون من

[1]- الحسن العربي رحمون، أدباء الأندلس، إسهاماتهم وتأثيرهم في الحركة الأدبية العربية خلال القرنين السابع والثامن هجريين في ندوة الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات، مكتبة الملك عبد العزيز، العامة،الرياض، 1993م، ص 300.

[2]- ناصر الدين سعيدوني، التجربة الأندلسية بالجزائر، مدرسة بجاية الأندلسية ومكانتها في الحياة الثقافية بالمغرب الأوسط (ق6-7هـ/12-13م) السجل العلمي لندوة الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات، القسم الثالث، الحضارة والعمران والفنون، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، 1996م، ص 81.

[3]- ابن خلدون، المقدمة، ص ص 10-12.

المحصلين، ومما يؤكد الأخذ بهذه الطريقة التي تميل إلى التحليل والاستنتاج ما كان يقوم به بعض أعلام بجاية الأندلسيين، فقد ذكر أن أبا محمد عبد الحق الإشبيلي وأبا عبد الله محمد بن عمر القرشي وأبا علي المسيلي الأندلسي كانوا يتناظرون في مباحث العلم والفقه بإحدى الحوانيت بطرف حومة المقدسي ببجاية، ويواظبون على ذلك حتى عرف ذلك الحانوت بمدينة العلم. [1]

ومن العلماء الأندلسيين الذين جددوا طريقة التدريس ببجاية أحمد بن إبراهيم الآبلي (757هـ/1356م) فرغم قصر المدة التي جلس فيها للتدريس ببجاية فإن الآبلي انتقد غياب الدافع الشخصي للدراسة والمبالغة في الحفظ والاعتماد المطلق على النصوص التي عرف بها المغاربة وهذا ما جعله يتحفظ على أساليب علماء عصره الذين كانوا يعتبرون الطالب وعاء وعلى الأستاذ أن يملأه بالمعلومات الغزيرة في شتى العلوم ويذهب إلى القول نقلا عن أحمد بابا التمبكتي عن المقري: "وإنما أفسد العلم كثرة التواليف وإنما أذهبه بنيان المدارس". [2]

و لم يقتصر تأثير علماء الأندلس على طرق وأساليب التدريس بل تعداها إلى طرق الكتابة ورسم الخط وتأليف الكتب، فمن حدث طرق وأساليب الكتابة أصبح النموذج الأندلسي مثالا يحتذى به اختيار الألفاظ واعتماد السجع والأخذ بالمحسنات البديعية فكانت كتابات ابن الآبار وابن المظرف نموذجا لمعاصريهم من علماء بجاية، وغدت مؤلفات الفتح بن خاقان ولسان الدين بن الخطيب مرجعا للمتأخرين منهم، وغدا الخط الأندلسي مثالا يحتذي بحيث عفى على الرسم المغربي القديم الذي عرف بخط القيروان وكان له انتشار بطبنة وقلعة بني حماد وبجاية، فقد أقبل على الخط الأندلسي الطلبة واعتمده الناسخون لوضوحه وسهولة الكتابة به بحيث أهمل الخط المغربي في عهد الموحدين ونسي تماما عند حكم الحفصيين لبجاية، وهذا ما أشار إليه ابن خلدون بقوله: "فغلب خطهم (أي الخط الأندلسي) على الخط الإفريقي وعفى عنه، ونسي خط القيروان والمهدية بنسيان عوائدهما وصنائعها وصارت خطوط أهل إفريقية كلها على الرسم الأندلسي فصار خط أهل إفريقية من أحسن خطوط أهل الأندلس". [3]

---

[1]- الغبريني، المصدر السابق، ص 16.

[2]- أحمد بابا التمبكتي، نيل الابتهاج في تطوير الديباج، إشراف وتقديم، عبد الحميد عبد الله الهواس، ط1، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1989م، ص 190.

[3]- ابن خلدون، المقدمة، ص 766.

أما البرامج الدراسية (من متون وشروح وتعليقات) فقد اكتسبت هي الأخرى طابعا أندلسيا سواء في طريقة تأليفها أم الأساليب المتبعة في تدريسها مثل مجامع الحديث وفي مقدمتها كتاب (الموطأ) ومصنفات الفقه مثل "مدونة الإمام سحنون" و "رسالة أبي زيد القيرواني" وكتب الأدب والطب والحساب فإن التآليف الأندلسية سواء ما نقل من الأندلس أم ألف بالمغرب الأوسط عامة وبجاية خاصة، أصبحت محل اهتمام كبير فاعتمدها الأساتذة، وأقبل عليها الطلبة، وأصبح لها مكان خاص في مضمون البرامج الدراسية في مختلف مساجد ومدارس بجاية الحفصية فاشتهر منها كتاب "القراءات" لأبي عثمان بن سعيد بن زاهر و"لامية الشاطي" و "تفسير ابن عطية" ومختصر ابن الحاجب أنه كان محل اعتناء كبير من طرف طلبة بجاية، فأقبلوا على دراسته ونشرت ببلاد المغرب بعد أن عرفهم به العالم البجائي ناصر الدين المشدالي الذي أخذ العلم بالأندلس على تلاميذ ابن الحاجب. [1]

فقد احتكر الأندلسيون قطاع التعليم في المغرب الأوسط لا سيما في المدن والحواضر، ونالوا نصيبا في تدريس علوم اللغة والآداب والفن والموسيقى، وبينما كان السكان المحليون مسيطرين بصورة تكاد تكون دائمة على ميدان الشريعة والعلوم الدينية، كان النجاح حليف الأندلسيين في كافة الميادين الأدبية الخالصة من الحظ والنحو إلى البلاغة والشعر والتاريخ والموسيقى. [2]

فساهموا ف تجديد طرق التدريس عن طريق المحاورة والمذاكرة وإلقاء الأسئلة، وأيضا علموا على إدخال فن الموسيقى الأندلسية كمؤثر ثقافي أندلسي ويعود الفضل في ذلك للفنان أبي الصلت بعدما ترك طليطلة سنة (478هـ/1085). [3]

ليحط الرحال بالبلاد التونسية كما أدخلوا آلات موسيقية أندلسية وحافظوا عليها مثل: العود، الرباب، الكامنجة، الصنوج،الطبيلة،الطار ،الدربوكة، وأحيوا المواليد والإخوانيات وقصائد المديح والغزل والتشبيب ووصف الطبيعة والرثاء وشعر الحرب.

[1]- المهدي البوعبدلي، مراكز الثقافة وخزائن الكتب بالجزائر عبر التاريخ، الحلقة الثالثة، مجلة الأصالة، العدد 11، 1972م، ص ص 104-106.

[2]- محمد الطمار، المرجع السابق، ص ص 219-220.

[3]- الغبريني، المصدر السابق، ص 17.

لقد احتكر الأندلسيون ميدان التعليم في المغرب العربي ونقلوا طريقتهم الخاصة بهم إليها، ومن ذلك عدم الاقتصار في تعليم الأطفال على حفظ القرآن كما كان الحال قبلهم بل أضافوا إليه تعليم الحديث والقواعد العامة لمختلف العلوم وتدارس بعضها، كما علموا روايات القرآن وأنواع قراءته، ونشر الأندلسيون خطهم حتى ساد على خط المغرب العربي، أما التعليم العالي فقد كان يعطى في المساجد والزوايا ودور العلماء، وبالإضافة إلى هذه الأماكن العامة كانت السلطة تعين للمدارس كبار العلماء الأندلسيين وغيرهم وتجري عليهم المرتبات، ولكن التعليم العالي كان أكثر انتشارا في المراكز الأولى منه في الثانية وكان يعتمد في أغلب الأحيان على النقل والرواية لا على الرأي والاجتهاد. [1]

وقد شمل التأثير الأندلسي أيضا ميادين النحو والأدب والعلوم والموسيقى. [2]

[1]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ط1، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1998م، ص 282.

[2]- نفسه، ص 47.

الخاتمـــة:

نستخلص من هذه الدراسة أن بلاد المغرب الأوسط وبلاد الأندلس كانت بينهما روابط متينة وعلاقات جيدة بداية من الفتح الإسلامي لبلاد المغرب أولا بسبب الرابطة الدينية الموحدة وثانيا بسبب التبادل الثقافي بينهما إضافة إلى القرب الجغرافي.

لا يمكننا حصر تواجد الجاليات الأندلسية وهجرتهم في فترة زمنية معينة لأنها كانت حاضرة في مختلف الفترات التاريخية باختلاف أعدادهم .

وراء هذه الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأوسط عوامل عديدة أكثرها كان متعلقا بالأوضاع الداخلية للأندلس، وهي بدون شك عوامل سلبية بحتة، حيث أخبر الأندلسيون على التهجير القصري والعنيف.

إضافة إلى أنه يمكن القول بأن زوال سلطة الأمويين أدى إلى انتقال بلاد الأندلس من القوة إلى الضعف، ومن الوحدة إلى التفرقة، ومن دولة مركزية متماسكة إلى إخوة أعداء تحالفوا مع النصارى لتدمير سلطة بعضهم البعض ما أدى إلى بالنصارى إلى اكتساح المدن الأندلسية، وبالتالي بداية الهجرة الأندلسية القصرية والجماعية بعد ما كانت محدودة قبل انهيار الدولة الأموية بالأندلس.

- وفيما يخص سير أطوا الهجرة الأندلسية إلى بلاد المغرب الأقصى فهي تنقسم إلى مرحلتين أساسيتين هما مرحلة ما قبل سقوط غرناطة، ومرحلة ما بعد سقوطها.

- نستنتج أيضا أن ملوك بني زيان فتحوا قلوبهم وأبوابهم للجالية الأندلسية الوافدة إلى المغرب الأوسط وأوصوا بهم خيرا بالاهتمام بهم واستقبالهم والتخفيف عنهم.

- لقد تفرقت الجاليات الأندلسية في مختلف مدن المغرب الأوسط خاصة مدينتي تلمسان وبجاية.

- لابد من الإشارة إلى أن الجالية الأندلسية لم تكن محصورة فقط في مدينتي تلمسان وبجاية، ولكن عدد الوافدين عليهما كان أكثر بسبب موقعهما السياسي والاقتصادي وكونهما من أكبر وأبرز وأهم حواضر المغرب الأوسط بخاصة وبلاد المغرب الإسلامي بشكل عام.

- من الواضح أن الجالية الأندلسية الوافدة على سلاطين بني زيان كان لها دورها الريادي في الحياة السياسية والإدارية عبر تسيير دواليب الدولة.

- لعب الأندلسيون دورا مهما في إنعاش الميدان الاقتصادي بحسب ما برعوا فيه من المهن والحرف والأعمال، وقاموا بمشاركة المملكة الزيانية في زراعتهم وصناعتهم بل فاقوهم من حيث الجودة والإتقان والسرعة في إنجاز العمل.

- إضافة إلى هذا فقد برز الأندلسيون في المجال العمراني الذين أبدعوا فيه وأتقنوا فيه.

- شكل الأندلسيون المهاجرون إلى بلاد المغرب الأوسط إضافة اجتماعية مهمة للنسيج السكاني للمملكة الزيانية ويعتبر العنصر الأندلسي من أبرز العناصر السكانية لدورهم الهام والفعال في المجال الاقتصادي والاجتماعي والعمراني.

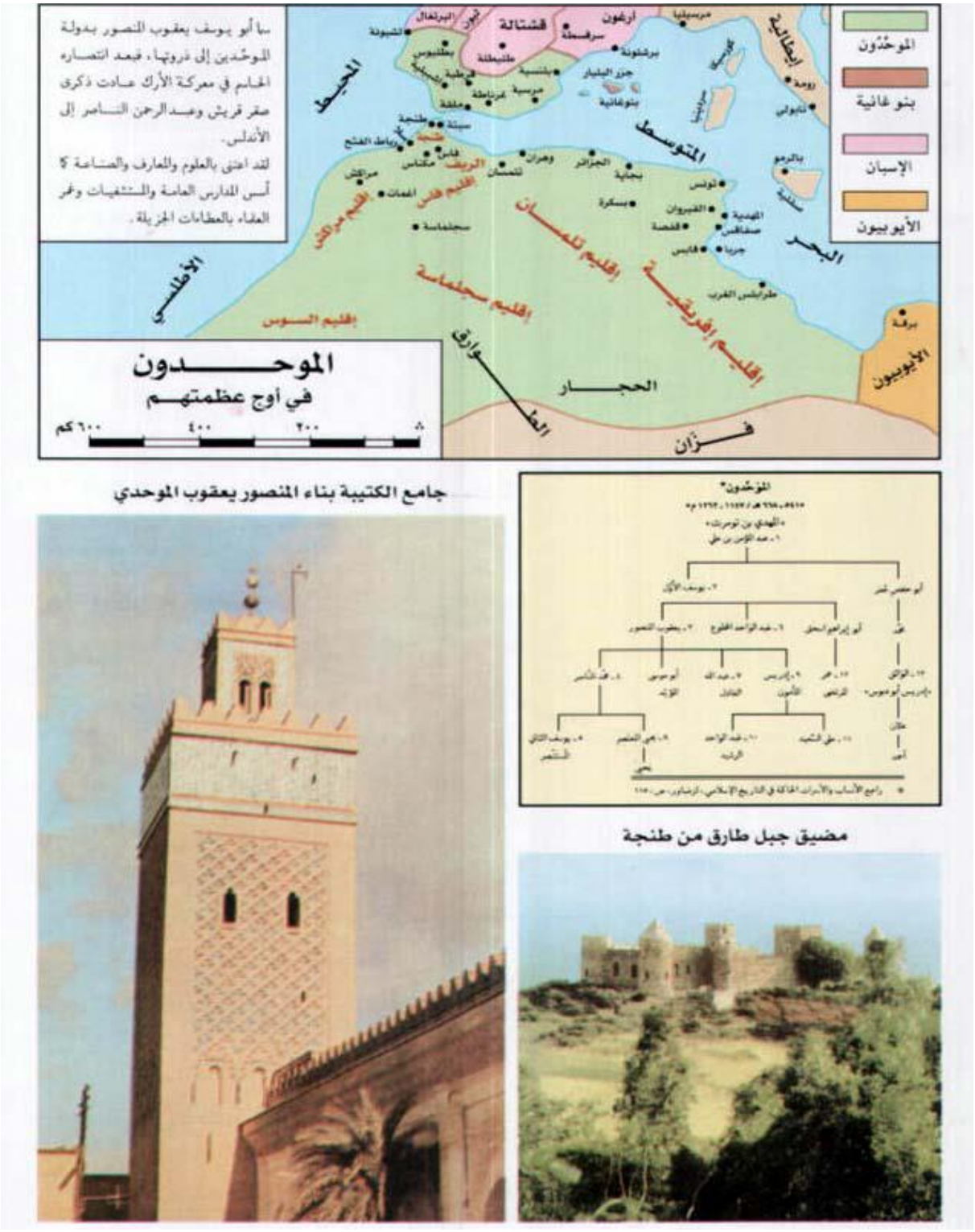
- نلمس أيضا أن للجالية الأندلسية بالمغرب الأوسط دور واضح في الحياة الثقافية، وذلك عبر الأنشطة الثقافية البارزة فكرية أو أدبية أو فنية.

وفي الأخير يبقى بحثي هذا مجرد محاولة جادة، وإضافة أتمنى أن تكون نوعية وليست رقمية للدراسات السابقة لهذا الموضوع، ورغم قلة المصادر والمراجع حاولت جاهدا الإلمام بالبحث، وما يعيب هنا هو أن موضوع تواجد الجالية الأندلسية ودورها الحضاري في المغرب الأوسط (في الفترة الوسيطة) خاصة بين (7هـــ/9هـــ) لم يحضى بعناية ودراسة كافية ولا نجد إلى النذر اليسير من الإشارات في مقالات وملتقيات مطبوعة، كما أن بعض المقالات موجودة في مجلات يصعب الحصول عليها لأسباب مختلفة، وقد نقلت ما وجدته مفيدا وحاولت معالجته من مصادره الأولية

على حسب استطاعتي، في حين أن الدراسات المتعلقة بالأندلسيين ودورهم الحضاري قد لاقى اهتمام وعناية شديدة بحيث وضعت له مراكز لدراسته وتعقد حوله ملتقيات ومؤتمرات وفعاليات دراسية على غرار تونس والمغرب وحتى ليبيا، لكن رغم كل هذا سعينا أن نضيء بعض الجوانب حول الدور الأندلسي في المغرب الأوسط بما وجدنا من إمكانيات زنتمنى أن تنطلق دراسات أخرى مكملة أو جديدة نثري بها مكتبة تاريخ العرب الإسلامي.

الملحق الأول:

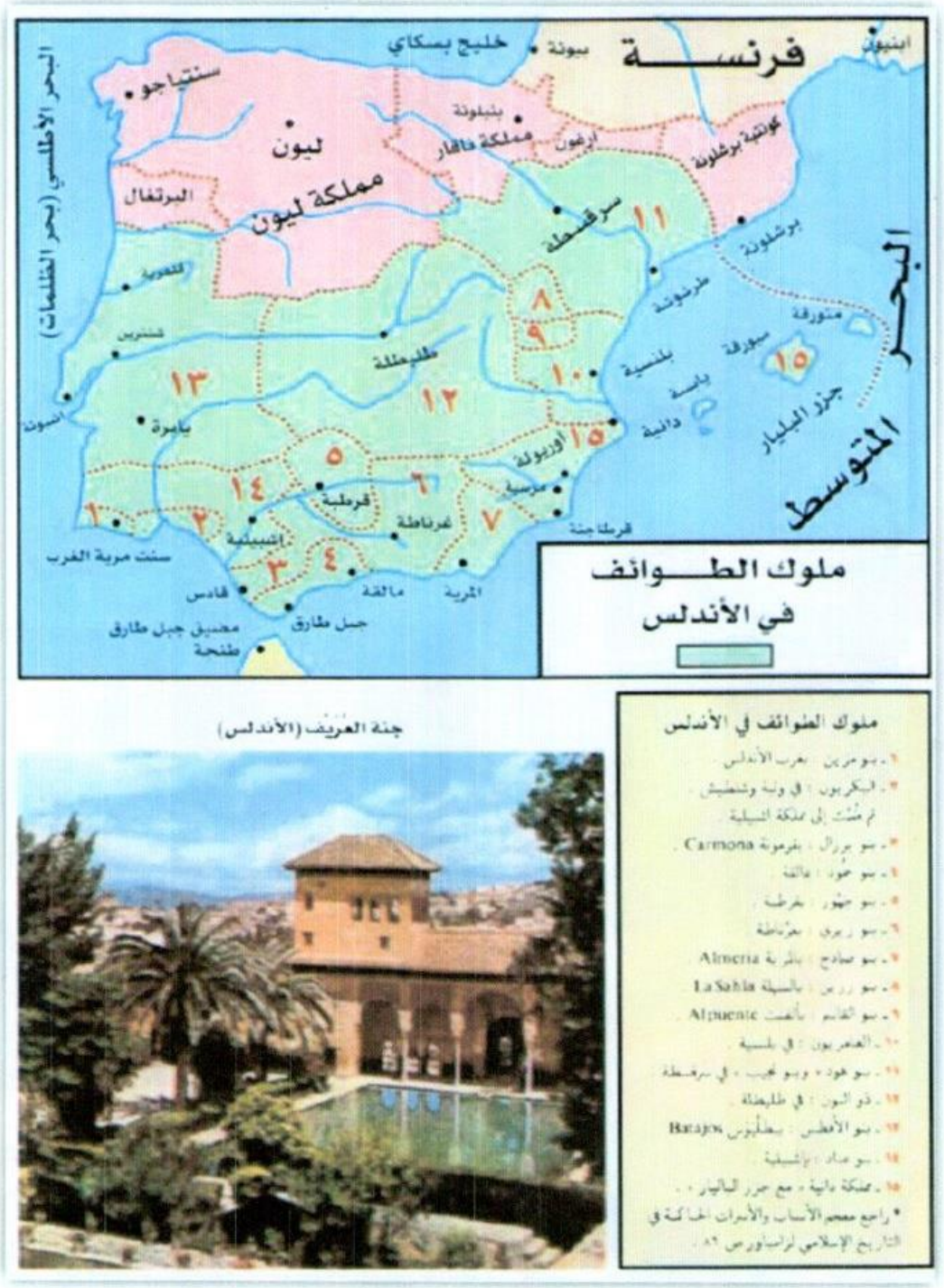
الدولة الموحدية في أوج اتساع لها



شوقي أبو خليل، الأطلس التاريخي العربي الإسلامي، ط5، دار الفكر، دمشق، 2002م، ص 79

الملحق الثاني:

توحيد العدوتين المغربية والاندلسية في عهد المرابطين [1]



شوقي أبو خليل، المرجع السابق، ص 83

الملحق الثالث:

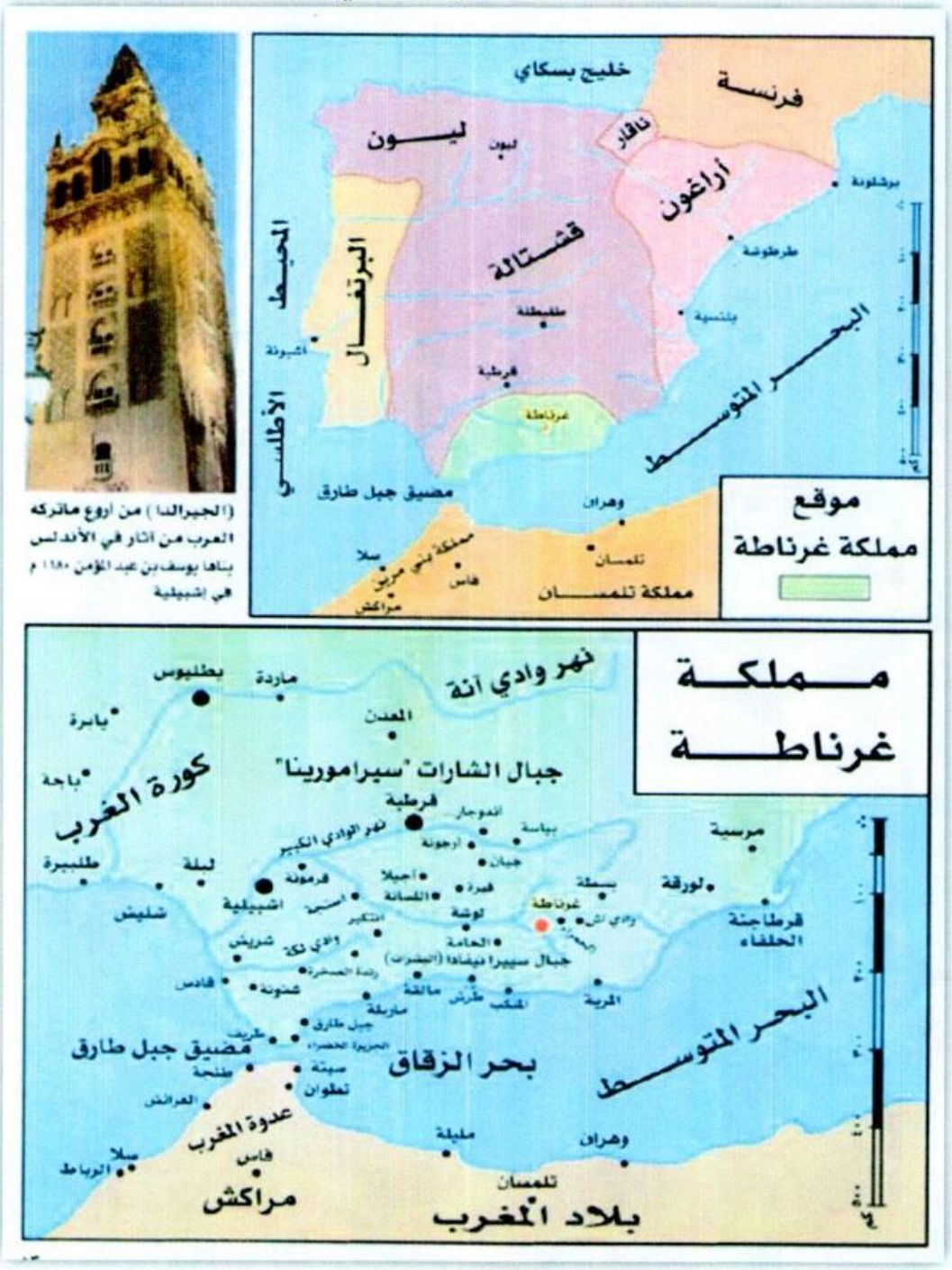
المعارك الكبرى في الاندلس [1]



شوقي أبو خليل، المرجع السابق، ص 60

الملحق الرابع :

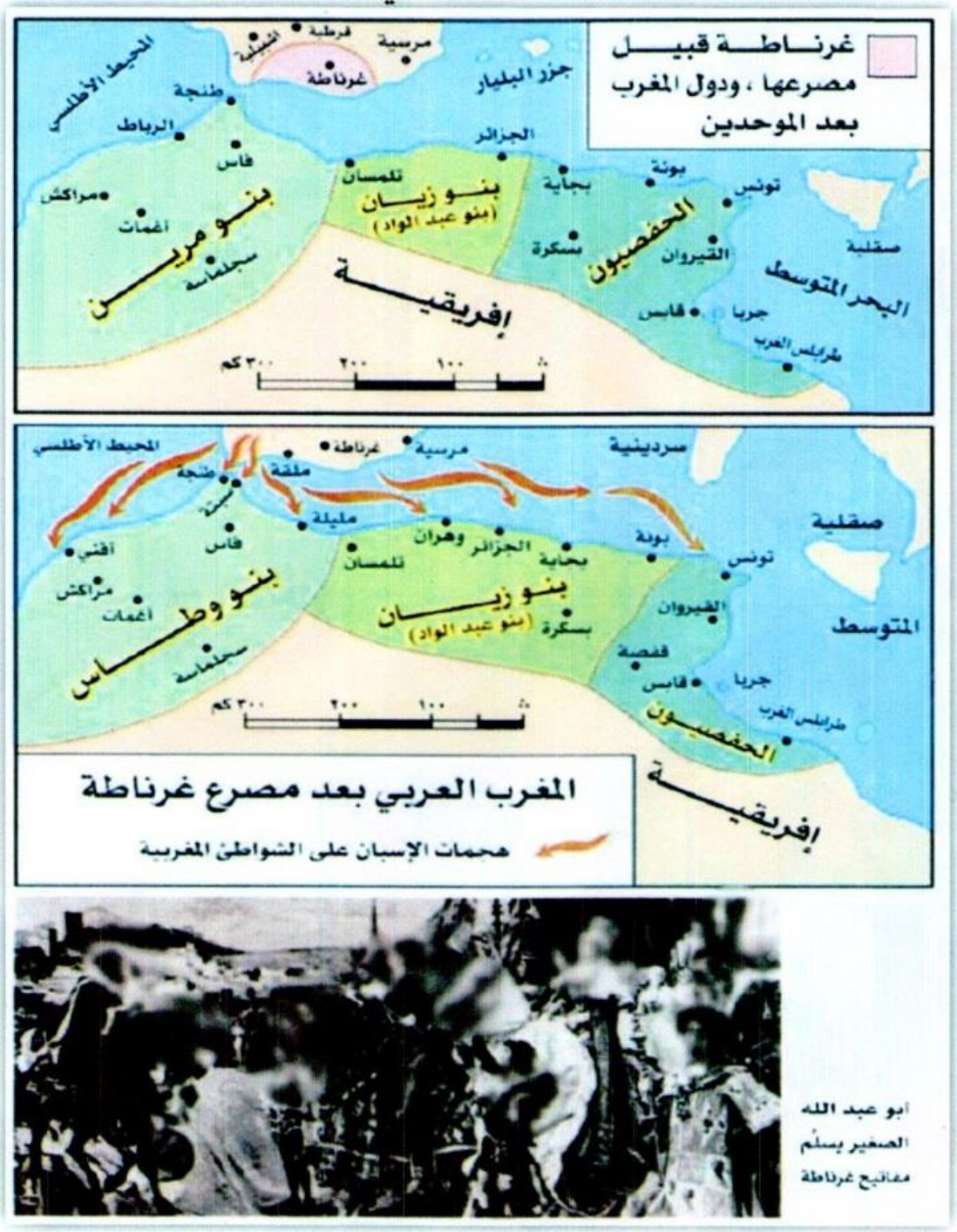
آخر حاضرة من حواضر الاندلس تسقط في يد للصليبيين [1]



شوقي أبو خليل، المرجع السابق، ص 83

الملحق الخامس:

الهجرة الاندلسية الى المغرب الاسلامي بعد سقوط غرناطة [1]



شوقي أبو خليل، المرجع السابق، ص 84.

قائمـــــــــــــــــــــــــــــــــــة المصادر والمراجع:

- **القرآن الكريم، برواية ورش .**

أولا:المصادر

1 ابن أبي زرع علي الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس، تحقيق: عبد الوهاب ابن منصور، دط، دار المنصور للطباعة والوراقة، الرباط، 1972م.

2 ابن الأثير علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الجزري ،الكامل في التاريخ،ط4، ج4 دار الكتاب العربي، بيروت ،1983م.

3 ابن الأحمر، تاريخ الدولة الزيانية بتلمسان، تقديم :هاني سلامة ،ط1، مكتبة الثقافة الدينية ، مصر، 2001م.

4 ابن القوطية أبو بكر ، تاريخ افتتاح الأندلس، تحقيق ، إسماعيل العربي، دط،المؤسسة للكتاب، الجزائر، 1989م.

5 ابن بشكوال أبو القاسم خلف بن عبد الملك ،الصلة،تحقيق إبراهيم الأبياري،ط1، ج1،الدار المصرية اللبنانية،القاهرة،1939م.

6 ابن حوقل أبو القاسم محمد بن علي البغدادي النصيبي ،صورة الأرض،منشورات دار مكتبة الحياة ،بيروت 1992م.

7 ابن خلدون عبد الرحمان بن محمد ،كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشان الأكبر ،مراجعة سهيل زكار ،دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت،1988م.

8 ابن خلدون يحي، بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد، تحقيق: عبد الحميد حاجيات ، دط، المكتبة الوطنية الجزائرية ،الجزائر ، 1980م.

9 المقدمة ،دط،دار الجيل بيروت ،د.ت.ط،
10 ابن خلكان شمس الدين أحمد بن محمد، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، دط، المطبعة الميمنية، مصر، 1892م.
11 ابن عبد الحكم عبد الرحمان بن عبد الله المصري،فتوح مصر والمغرب ،تحقيق عبد المنعم عامر،دط،شركة الأمل للنشر والتوزيع،القاهرة ،1961م.
12 ابن قنفد أبو العباس احمد بن الحسين بن علي بن الخطيب القسنطيني،الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية ،تحقيق الشاذلي النيفر عبد المجيد التركي ،دط،الدار التونسية للنشر،تونس ،د.ت.ط.
13 أبو نصر الفتح بن محمد بن عبيد الله بن خاقان بن عبد الله القيسي ،تاريخ الوزراء والكتاب والشعراء بالأندلس ،تحقيق مدينة الشعراوي، ط1،مكتبة الثقافة الدينية ،بور سعيد ،2001م.
14 أبي الفدا عماد الدين إسماعيل بن محمد بن عمر،تقويم البلدان،تصحيح رينود و ماك،ط1،دار السلطانية،باريس،1830م.
15 الإدريسي أبو عبد الله مجمد الشريف السبتي، المغرب العربي من خلال نزهة المشتاق في اختراق الأفاق،تحقيق محمد حاج الصادق ،دط،ديوان المطبواعات الجامعية ،الجزائر ،1983م.
16 الإدريسي القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس، تحقيق: إسماعيل العربي، دط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م.
17 الإحاطة في أخبار غرناطة،ط1،شركة طبع الكتب العربية،القاهرة،1901م.
18 الإصطخري أبو إسحاق إبراهيم بن مجمد الفارسي الكرخي ،المسالك والممالك،دط،دار صادر ،بيروت 2004م.

19 البكري أبو عبيد عبدا لله بن عبد العزيز المرسي،المسالك والممالك،دط،دار الغرب الإسلامي،د.ب.ط،1992م.

20 المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب، دط،دار الكتاب الإسلامي،القاهرة،د.ت.ط.

21 التمبكتي احمد بابا،نيل الابتهاج بتطريز الديباج،تحقيق وتقديم عبد الحميد عبد العزيز الهامة،ط1، منشورات كلية الدعوة الإسلامية،طرابلس،1989م.

22 التنسي محمد بن أبي عبد الله ،تاريخ دولة الأدارسة، تحقيق عبد الحميد حاجيات،دط ،المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر ،1984م.

23تاريخ بني زيان ملوك تلمسان،تحقيق:محمود عياد،دط،المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر،1985م.

24 الحموي،ياقوت شهاب الدين أبي عبد الله الرومي،معجم البلدان،ط1،ج1ن دار صادر بيروت،1977م.

25 الحميري أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم ،الروض المعطار في خير الأقطار ،تحقيق إحسان عباس ،ط2،مؤسسة ناصر للثقافة ،بيروت ،1980م.

26 الزهري، ابن عبد الله محمد بن أبي بكر، كتاب الجغرافيا ،تحقيق،محمد الحاج الصادق،ط1،مكتبة الثقافة الدينية،د،ت،ط

27 الصنهاجي أبو بكر بن علي ، البيدق ، أخبار المهدي بن تومرت، تحقيق: عبد الحميد حاجيات، دط، الشركة الوطنية لنشر والتوزيع، الجزائر، 1994م.

28 الضبي أحمد بن عميرة ، بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس ،تحقيق ،روجين عبد الرحمان السويفي،ط1، دار الكتب العلمية، بيروت ، 1997م.

29 العبدري محمد أبو عبد الله بن مسعود البلانسي،الرحلة المغربية ،تقديم سعد بوغلافة،ط1،منشورات بونة للبحوث والدراسات،الجزائر 2007م.

30 الغرناطي ابن سعيد،المغرب في حلى المغرب، تحقيق خليل منصور، ط1، دار الكتب العلمية بيروت، 1997م.
31 الغزال أحمد بن مهدي، نتيجة الاجتهاد في المهادنة و الجهاد، تحقيق: إسماعيل العربي،دط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984م.
32 القلقشندي،ابن عباس احمد بن علي،صبح الأعشى في صناعة الانشى،دط،المؤسسة المصرية العامة،القاهرة،د.ت.ط.
33 القيرواني محمد بن أبي القاسم الرعيني ،المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس ،ط2،دار الميسرة ،بيروت،1993.
34 لسان الدين ابن الخطيب أبو عبد الله محمد بن عبد الله،أعمال الإعلام،تحقيق ،احمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني،ط1،دار الكتاب،الدار البيضاء،1964م.
35 كناسة الدكان بعد انتقال السكان،تحقيق كمال شبانة،ط1،مكتبة الثقافة الدينية ،القاهرة،2003م.
36 شرح رقم الحلل في نظم الدول،تحقيق عدنان درويش ،دط،منشورات دار الثقافة ،دمشق،1970م.
37 اللمحة البدرية في الدولة النصرية،ط2،منشورات دار الأفاق الجديدة،بيروت،1980م.
38 المراكشي مجي الدين عبد الواجد بن علي التميمي،المعجم في تلخيص أخبار المغرب ،تحقيق صلاح الدين الهواري،ط1، المكتبة العصرية ،بيروت ،2006م.
39 وثائق المرابطين والموحدين ،تحقيق حسين مؤنس،ط1،مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة،1997م.
40 المقدسي أبو عبد الله محمد بن احمد البشاري،أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم،ط3، دار صادر ، بيروت،1991م.

41 المقري شهاب الدين احمد بن محمد التلمساني ،نفح الطيب من غسل الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين ابن الخطيب ،تحقيق محمد البقاعي ،ط1،دار الفكر للطباعة والنشر و التوزيغ، بيروت ،1998م.

42 المقري، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض، دط، تحقيق: مصطفى السقا إبراهيم الأبياري عبد الحفيظ شلبيّ، القاهرة ، دت ط،

43 المقريزي تقي الدين ،المقفى الكبير تراجم مغربية ومشرقية من الفترة العبيدية ،تحقيق عبد السلام يعلاوي،دار الغرب الإسلامي ،بيروت،1987م.

44 مؤلف مجهول، نبذة العصر في أخبار ملوك بني نصر، ضبطه وعلق عليه فريد البستاني، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 2002م.

45 مؤلف مجهول،كتاب الاستبصار من عجائب الأمصار،نشر وتعليق،سعد زغلول عبد الحميد ،ط1،دار الشؤون الثقافية العامة،العراق،د،ت،ط

46 النويري شهاب الدين احمد بن عبد الوهاب ، نهاية الأرب في فنون الأدب،تحقيق مجمد محمد أمين حلمي ،دط،مراكز تحقيق التراث، القاهرة ،1992م.

47 الورداني علي ابن سالم ، الرحلة الأندلسية، تحقيق: عبد الجبار شريف،دط، المؤسسة الوطنية للكتاب،الجزائر، الدار التونسية لنشر، تونس، 1984م. ا

48 الوزان،أبو علي الحسن بن محمد الفاسي،وصف إفريقيا، ترجمة عبد الرحمان حميدة،مراجعة،علي عبد الواحد،ط1،د.د.ن،المملكة العربية السعودية،د.ت.ط.

49 الونشريسي ، أبو العباس أحمد بن يحي، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوي إفريقية و الأندلس و المغرب، إشراف عبد الرحمان الحجي، دط، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية، المملكة المغربية، 1981م.

- الونشريسي، أسنى المتاجر وبيان أحكام من غلب على وطنه النصارى و لم يهاجر وما يترتب عليه من العقوبات و الزواجر، تحقيق: حسين مؤنس، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، مصر، 1986م.

50 اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح ، البلدان ،تحقيق محمد أمين الضناوي، دار الكتب العلمية ،بيروت ،2002م.

ثانيا: المراجع

1.رزوق محمد، الأندلسيون وهجراتهم خلال القرنين 16-17، ط3، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1990م.

2.دراسات في التاريخ في المغرب، ط1، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1990م.

3.سعيدوني ناصر الدين، دراسات أندلسية، مظاهر التأثير الإيبيري و الوجود الأندلسي بالجزائر، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003م.

4.دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر- العهد العثماني، د ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ، 1984م.

5.عنان محمد عبد الله ، دولة الإسلام في الأندلس، ط4، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997م.

6.نهاية الأندلس وتاريخ المتنصرين، د ط، د د ن، القاهرة، مصر، 1966م.

7.الطمار محمد، تلمسان عبر العصور، دورها في سياسة وحضارة الجزائر، تقديم: عبد الجليل مرتاض، د ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007م.

8.مارسي جورج ، مدن الفن الشهيرة تلمسان، ترجمة: سعيد دحماني، ط1، دار التل، البليدة، الجزائر، 2004م.

9.الدراجي بوزياني، نظم الحكم في دولة بني عبد الواد الزيانية، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1973م.

10.حاجيات عبد الحميد، أبو موسى حمو الزياني حياته و أثاره، ط2، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1982م.

11.حساني مختار، تاريخ الدولة الزيانية، الأحوال السياسية، د ط، منشورات الحضارة، الجزائر ، 2009م.

12.عويس عبد الحميد، دولة بني حماد، صفحة رائعة من التاريخ الجزائري، ط2، دار الصحوة، القاهرة، 1991م.

13.بورويبة رشيد، الدولة الحمادية تاريخها وحضارتها، د ط، ديوان المطبوعات، الجزائر، 1977م,

14.لقبال موسى، المغرب الإسلامي من بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر ، 1981م.

15.حكيلة رضا، المغرب في تاريخ الأندلس و المغرب، د ط، جامعة القاهرة، 1997م.

16.زيتون محمد محمد، المسلمون في المغرب و الأندلس، د ط، المكتبة الإسكندرية، د ب ط، 1990م.

17.بلعربي خالد، الدولة الزيانية في عهد يغمراسن، دراسة تاريخية وحضارية (633ه-681ه/ 1235م- 1282م)، ط1، دار الألمعية للنشر والتوزيع، قسنطينة، الجزائر، 2011م .

18.عميرة بن محمد، دور الزناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الإسلامي، د ط، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1984م.

19.سالم عبد العزيز السحر، المغرب الكبير،د ط، دار النهضة العربية، بيروت، 1981م.

20.أوراق بحر متوسطة من العصر الإسلامي، د ط، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، 2006م.

21.فيلالي عبد العزيز، تلمسان في العهد الزياني، ط1، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2011م.

22.العلاقات السياسية بين الدولة الأموية و الأندلس ودول المغرب، د ط، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982م.
23.العبادي أحمد مختار، في تاريخ المغرب و الأندلس، د ط، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت ، د ت ط.
24.الحجي عبد الرحمان علي، التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، ط1، دار القلم، بيروت، لبنان،1981م.
25.الحضارة الإسلامية في الأندلس، د ط، د د ن، بيروت، لبنان، 1989م.
26.علاوة عمارة و آخرون، مغرب أوسطيات، دراسات في تاريخ و حضارة الجزائر في العصر الإسلامي، ط1، منشورات مكتبة اقرأ، قسنطينة، الجزائر، 2013م.
27.الجابري محمد عابد، العصبية والدولة، معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي، ط6، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 1994م.
28.صالح بعيزق، بجاية في العهد الحفصي، دراسة اجتماعية واقتصادية، د ط، منشورات كلية الآداب، تونس، 1999م.
29.سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1998م.
30.بوعمامة فاطمة، اليهود في المغرب الإسلامي خلال القرنين السابع والثامن هجري الموافق لـــ 14- 15م،د ط، مؤسسة كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م.
31.شبارو عصام محمد، الأندلس من الفتح المرصود إلى الفردوس المفقود، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 2002م.
32. الجيلالي عبد الرحمان بن محمد، تاريخ الجزائر العام، ط1، المطبعة العربية، الجزائر، 1953م.
33.الصلابي علي محمد محمد، فقه التمكين في دولة المرابطين، ط1، مؤسسة اقرأ للنشر و التوزيع و الترجمة، القاهرة، مصر، 2006م.

34.البتنوني محمد لبيب، رحلة الأندلس،د ط، دار المصري للطباعة، مصر، 1998م.
35.السيد محمود، تاريخ العرب ف بلاد الأندلس، د ط، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، مصر، 2003م.
36.كارديك لوي، الموريسكيون الأندلسيون والمسيحيون(المجابهة الجدلية)،(1492- 1640م)، ترجمة: عبد الجليل التميمي، ط1، منشورات المجلة التاريخية المغربية و ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983م.
37.شاكر مصطفى،موسوعة دول العالم الإسلامي و رجالها،ط1،دار العلم للملايين، بيروت، لبنان،1993م

ثالثا:المذكرات والرسائل الجامعية:

1. بن سهلة ثاني سيدي محمد،المؤثرات الحضارية الأندلسية على الهوية الثقافية في الجزائر"تلمسان نموذجا"،كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية،قسم التاريخ وعلم الأثار،2014/2013م.
2. ابن الأعرج العزيز، المباني المرينية في إمارة تلمسان الزيانية،رسالة دكتوراه دولة،قسم الأثار،جامعة الجزائر،1999/1998م.
3. عبدلي لخضر،الحياة الثقافية في المغرب الأوسط في عهد بني زيان(633-962ه/1236-1554م)،رسالة دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي،جامعة تلمسان 2005/2004م.
4. بن معمر محمد، العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين المغرب الأوسط والأقصى في نهاية القرن الثاني إلى أواسط القرن السادس هجري، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه الدولة في التاريخ،قسم التاريخ ،جامعة وهران،2002/2001م.

رابعا:الدوريات والملتقيات:

1.عزرودي نصيرة، هجرة الأندلسيين السياسية إلى المغرب الأوسط بين الانسجام والاصطدام،مجلة المواقف للبحوث والدراسات في المجتمع والتاريخ،جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، العدد4،ديسمبر2009م.

2.سعيدوني ناصر الدين،صور من الهجرة الأندلسية إلى الجزائر،المجلة العربية للثقافة، السنة الرابعة عشر، العدد 27،عدد خاص بالتاريخ العربي في الأندلس،المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم،1994م.

3.البوعبدلي المهدي، مراكز الثقافة وخزائن الكتب بالجزائر عبر التاريخ، الحلقة الثالثة، مجلة الأصالة،العدد11، 1972م.

4.الطالبي محمد، الهجرة الأندلسية إلى إفريقيا أيام الحفصيين، مجلة الأصالة، العدد 26، 1975م.

5.رزوق محمد، الجالية الأندلسية بالمغرب، تونس، الجزائر نموذجا، مجلة المناهل، المغرب، العدد 34، 1986م.

6.طوهارة فؤاد، الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأوسط(السياق التاريخي و المجال الجغرافي)، مجلة حوليات التراث، جامعة مستغانم، العدد 15، 2015م.

7.الصباغ يسلى، ثورة مسلمي غرناطة،عام 976ه أواخر عام 1568م والدولة العثمانية، مجلة الأصالة، الجزائر، العدد 27، أكتوبر 1973م.

8.خليل إبراهيم الكبيسي، هجرة الأندلسين وتهجيرهم إلى المغرب العربي، مجلة المجتمع العلمي العراقي،العراق، المجلد 44، 1987م.

9.رحمون أحسن العربي، أدباء الأندلس إسهاماتهم وتأثيرهم في الحركة الأدبية العربية خلال القرنين السابع والثامن هجريين في ندوة الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات، مطبعة الملك عبد العزيز العامة، الرياض، 1993م.

10.سعيدوني ناصر الدين،التجربة الأندلسية بالجزائر، مدرسة بجاية الأندلسية ومكانتها في الحياة الثقافية في المغرب الأوسط(القرن 6-7 ه/ 12-13م) السجل العلمي لندوة الأندلس قرون من التقلبات والعطاءات، القسم الثالث، الحضارة والعمران والفنون، مكتبة الملك عبد العزيز العامة، رياض،1996م.

فهرس الموضوعات

الإهـــــــــــــــــــــــداء:

الشكـــــــــــــــــــــــر:

العنـــــــــــــــــــــــوان:

مقدمة..... أ

مدخل 08

الفصل الأول: الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأوسط (واقع ودوافع)..... 23

23

- المجال الجغرافي والسياق التاريخي للمغرب الأوسط والأندلس 29

36

- دوافع الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأوسط 43

43

- مراحل الهجرة الأندلسية إلى المغرب الأوسط 49

الفصل الثاني: مواطن استقرار الجالية الأندلسية بالمغرب الأوسط 56

.....

- تلمسان..... مقصد الرحيل ووطن البديل
.....
- بجاية ..... محل البيوتات الأندلسية العريقة .....
- مدن أخرى
.....
الفصل الثالث: الإسهامات الحضارية للأندلسيين بالمغرب 62
سياسيا وإدا 62
..... 68
اقتصاديا وعمر 73
..... 82
اجتماعيا وثقافيا..... 86
الخاتمة..... 92
قائمة الملاحق 104
قائمة المصادر والمرا ـ
.....
فهرس الموضوعات
.....